6

العلاقات الاجتماعية في الإسلام

تعليم ذاتي يُعرِّف المسلم بحدود العلاقات الاجتماعية في الإسلام وضوابطها

مركز أصول Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

العلاقات الاجتماعية
في الإسلام

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز أصول
سلسلة السلوك والتزكية (٦) : العلاقات الاجتماعية في الإسلام. / مركز أصول - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٤٢ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٧٢٠
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-٢٧-٠

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، من قال الله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنّ الذي يقرأ آيات الله في كتابه العزيز بتدبُّر وتفكُّر؛ يجد أنه قد حوى من الإرشادات التي تصلح معاش الإنسان في شتى مجالات الحياة، ما تقرُّ به عيون الموحدين، وما يُقرُّ به المنصفون من أهل كل ملة ودين.

ومن هذه المجالات التي يظهر فيها كمال دين الإسلام، مجال العلاقات الاجتماعية، حيث نظَّمها للإنسان وأعطاه مفاتيح الموازنة بينها.

إنَّ حاجة الإنسان لهذا الإرشاد الإلهي ماسَّة؛ لأنّ العقول والنفوس البشرية قد لا تتنزه عن أنانيّتها ومصالحها الشخصية، وقد يلتبس عليها المعيار الصحيح للعمل الصالح في معاملة الناس، فيحسب المرء كلَّ شيء من حقه، ويتخيّر أقل المسؤوليات على نفسه فيجعلها واجباته، ولأن لكل إنسان طريقته الخاصة في إدارة علاقاته بالناس، التي يحقق من خلالها أداء واجباته والحصول على احتياجاته وحقوقه، وليست كل هذه الأساليب صحيحة أو سليمة.

فالإنسان المسلم مطالب بإنشاء علاقات إنسانية جيدة مع الآخرين، تحتوي على قيم الفضيلة والإنصاف والرحمة والمساعدة والدفع بالتي هي أحسن، وفي الوقت ذاته مطالب بالحفاظ على دينه ومبادئه ، في توازن حقيقي بين طرفي هذه العلاقة.

وقد يحار المسلم في تحقيق التوازن في إدارة علاقاته الاجتماعية وسط مجتمعه الذي يعيش فيه، ومن هنا جاءت صفحات هذا الكتاب لتشخيص هذه العلاقات وبيان حدودها، ولبيان المعايير والقواعد اللازمة لإدارتها على ما أراد الله سبحانه، وما علمنا خير الخلق وأحسنهم خَلْقًا وخُلُقًا، نبينا محمد ﷺ؛ ليعلم المسلم كيف يحيا وسط مجتمعه -سواء كان مجتمعًا مسلمًا أو غير مسلم- هانئ العيش مطمئن البال.

اللهم يسِّر وأعِن.

محتويات الكتاب

المحور الأول

مفهوم العلاقات الاجتماعية وأبعادها

تمهيد ١١

مفهوم العلاقات الاجتماعية ١٢

أنواع ومستويات العلاقات الاجتماعية ١٤

البعد التشريعي للعلاقات الاجتماعية ١٨

البعد الأخروي والأخلاقي في العلاقات الاجتماعية ٢٤

التقويم ٣٠

المحور الثاني

العلاقة بين المسلم وأسرته

تمهيد ٣٧

مفهوم الأسرة وأنواع القرابات ٣٨

علاقة المسلم مع والديه في الإسلام ٤٢

علاقة المسلم مع زوجته والمسلمة مع زوجها ٥٦

علاقة المسلم مع إخوته وعموم قراباته (الأرحام) ٦٨

التقويم ٧٦

المحور الثالث

علاقة المسلم مع أفراد المجتمع من حوله

علاقة المسلم مع أخيه المسلم ٨٢

علاقة المسلم مع جيرانه ٩٢

التقويم ٩٨

المحور الرابع

دور المسلم في مجتمعه غير المسلم

تمهيد ١٠٣

الخلطة والعزلة والهجرة ١٠٤

الدور الرسالي للمسلم في المجتمع ١٠٨

التقويم ١١٨

المحور الخامس

معينات الثبات في المجتمع غير المسلم

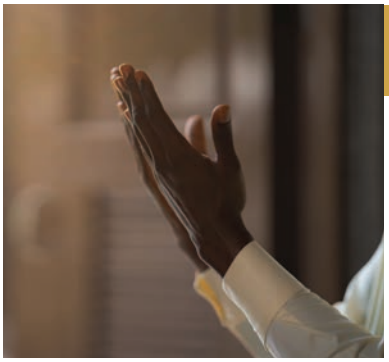

تمهيد ١٢٥

المُعين الأول: الارتباط بالله والإكثار من ذكره ١٢٦

المعين الثاني: الارتباط بالصحبة الصالحة ١٢٨

المعين الثالث: الارتباط بالمساجد والمراكز الإسلامية ١٣٠

التقويم ١٣٦

مفهوم العلاقات الاجتماعية وأبعادها

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح مفهوم العلاقات الاجتماعية.
- يؤسس لمشروع العلاقات الاجتماعية الخاصة به.
- يبيِّن أنواع العلاقات الاجتماعية في الحياة الإنسانية.
- يميِّز مستويات العلاقات الاجتماعية بالنسبة للفرد.
- يستنتج أن العلاقات الاجتماعية تقوم على مبدأ الحقوق والواجبات.
- يخطط لوضع برنامج عمل للتوصل لحقوقه وأداء واجباته.
- يستنبط أن أداء المسلم لواجباته لا يتوقف على حصوله على حقوقه.
- يكتشف البعد الأخروي العقدي لتشريع الحقوق والواجبات في العلاقات الاجتماعية للمسلم.
- يربط بين الجانب التشريعي (الحقوق والواجبات) والبعد الأخلاقي القِيَمي في علاقاته الملتزمة بحدود الإسلام.

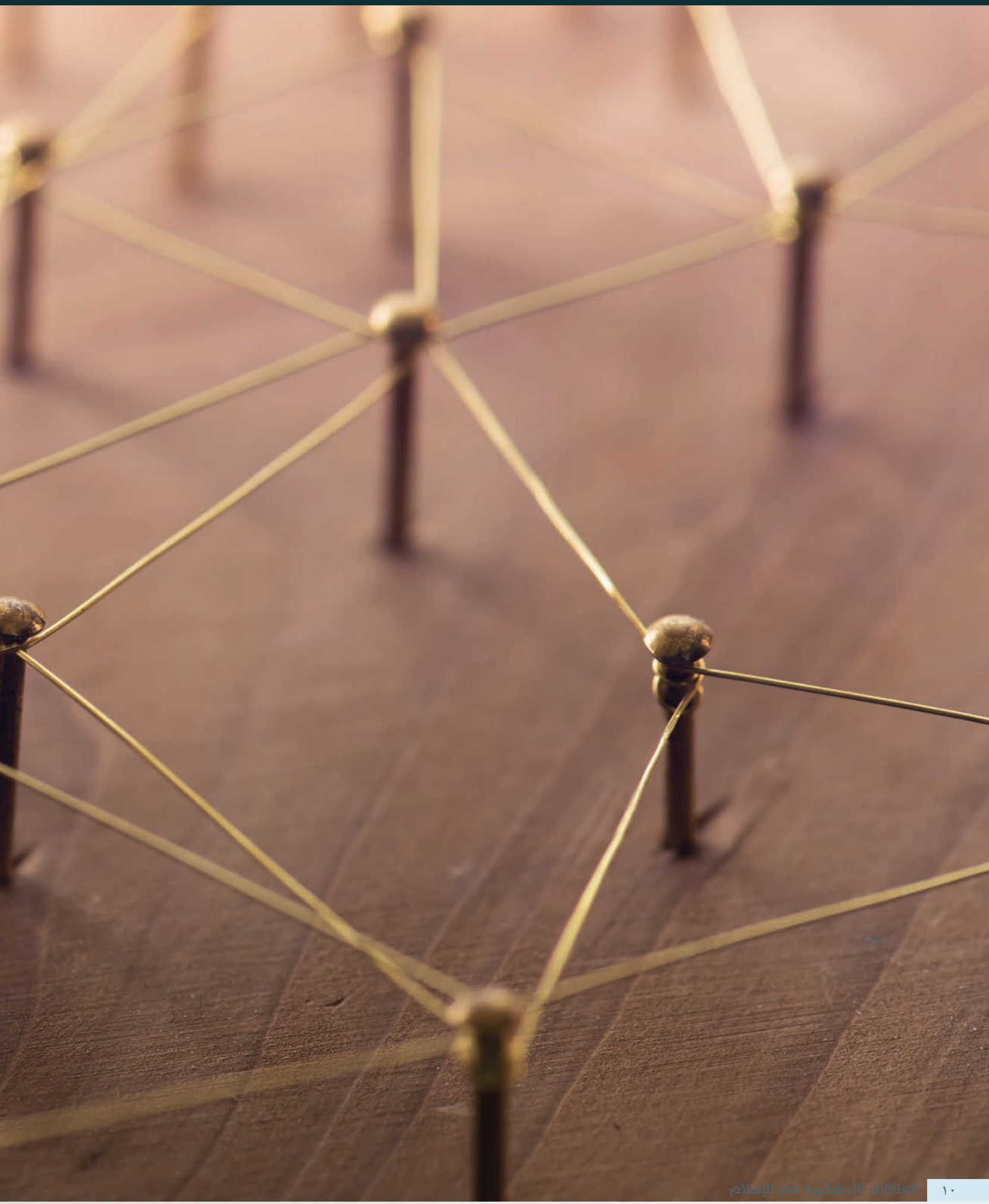

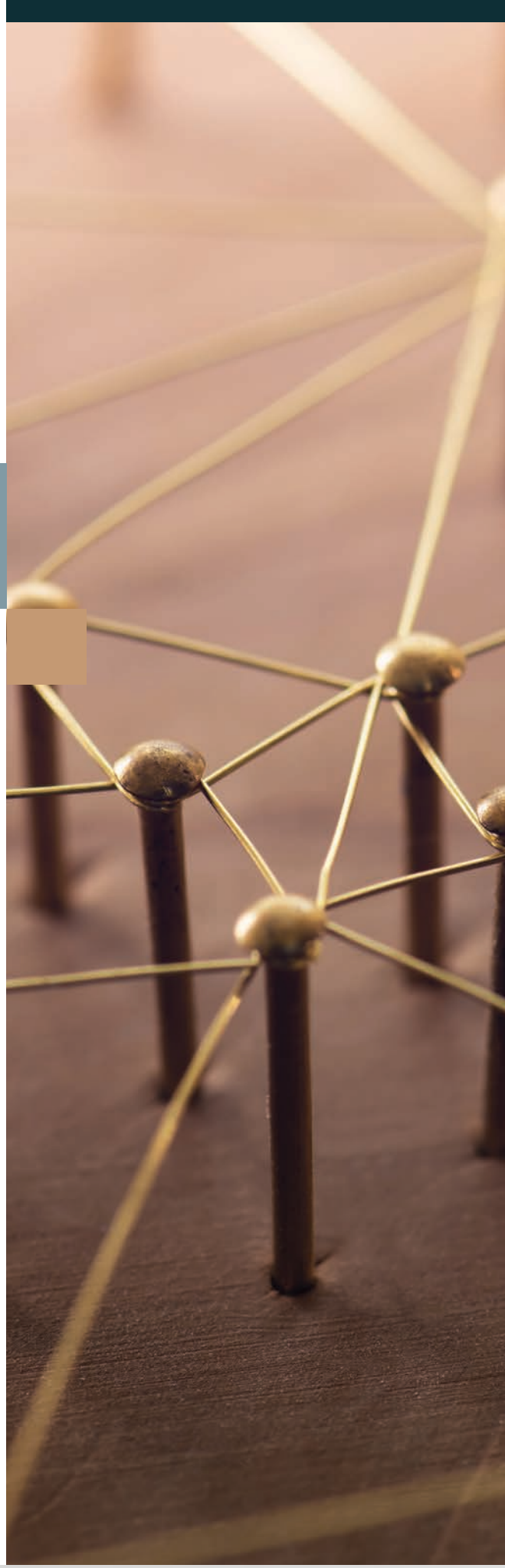

تمهيد

أثناء دراستي الجامعية في إحدى البلاد الأجنبية، فاجأني صديق في الجامعة بخبرٍ سارٍّ جدًّا؛ وهو قراره أن يدخل الإسلام ويعلن انتماءه إليه، إلا أنّه عاد ليُفاجئني بعد وقت قصير بأنّه عزم على قطع كل علاقاته السابقة مع أهله وأصدقائه، وأنه سيترك منزل عائلته ويستأجر غرفة صغيرة في أطراف المدينة التي ندرس فيها.

كدت أطير فرحًا لما علمت أن الإيمان قد تمكن منه لدرجةٍ حملته على التضحية من أجله بكل ما تحمله سنون عمره المنصرمة من علاقات ومعارف ومكانة اجتماعية تولدت عنهما؛ لكنني في الوقت نفسه، لم أكن لأُخفي عليه أن الأمر لا يتطلب كلّ ذلك، بل إنّ غاية ما في الأمر هو أنّ الضوابط التي تنظم تلك العلاقات هي فقط التي ستتبدل، لتوجيه تلك العلاقات كما ينبغي، وبما يرضي الله سبحانه وتعالى.

ولإيضاح ذلك دار بيننا حوار طويل.

مفهوم العلاقات الاجتماعية

قلت لصديقي: لإلقاء الضوء على مفهوم العلاقات الاجتماعية بين الناس في الإسلام اقرأ معي هذه الآية الكريمة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات: ١٣].

- **ماذا تفهم من هذه الآية؟**
- **ما المقصود بقوله لتعارفوا؟ وما الحكمة من هذا التعارف؟**
- **كيف يحصل الإنسان على حاجاته؟ هل هو قادر على تأمينها كلها لوحده؟**

الإنسان بطبعه كائن اجتماعيٌّ

خلق الله الإنسان من أم وأب، وجعل له إخوة وأخوات، وجعل في غريزته حب الزواج ليتكاثر ويستمر وجوده، فهو من جهة كائن قائم بنفسه ضمن المجموع البشري الذي يحيط به، ومن جهة أخرى لَبِنة في المجتمع، وتفاعل الإنسان مع من حوله وردة فعلهم على تصرفاته هو ما يسمى بالعلاقات الاجتماعية.

وبما أن الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه وفطرته، ولا يستطيع العيش منفردًا؛ فهو بحاجة إلى الانخراط في علاقات اجتماعية يوازن فيها بين حاجاته الشخصية، وحاجات عيشه في مجتمعه.

نشاط إثرائي

يقول علماء الاجتماع: "الإنسان مدني بطبعه". اشرح هذه العبارة في ضوء ما فهمته، ثم أعد صياغة مفهوم "العلاقات الاجتماعية" بأسلوبك الخاص.

رأيت على وجه صديقي بعض علامات الرضا والارتياح، وردَّ عليَّ قائلًا: ماذا عليَّ أن أفعل إذن؟ هل أبقي علاقاتي كلها كما كانت، بما فيها علاقتي بأبي وأمي اللذين بقيا على ما كانا عليه من اعتقاد؟

وماذا عن مجموعة أصدقائي الذين كنت معهم، هل أبقى على صحبتهم أم أتركهم؟ هل أشاركهم حفلاتهم وأفراحهم أم أعتزلها؟

كيف يمكن لي أن أدير تلك العلاقات، وأعرف أين يجب أن أقف مع كل طرفٍ من أطرافها؟

أنواع ومستويات العلاقات الاجتماعية

قلت لصديقي: العلاقات الاجتماعية مستويات مختلفة، اقرأ معي بتدبُّر وتمعُّن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

ناقش

- ماذا تفهم من هذه الآيات؟
- ماذا يشكل آدم وحواء في بداية البشرية؟
- ما ترتيب الأقارب وَفق الآية الثانية؟
- ما ترتيب العلاقة مع الآخرين خارج الأسرة؟

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن أصل وجودنا من أب واحد وأم واحدة، فالبشرية أسرة واحدة كبيرة وكلهم يعودون إلى أصل واحد ونفس واحدة، لكن الملاحظ من خلال الآيتين الثانية والثالثة أن الله سبحانه وتعالى رتب العلاقة القائمة فيما بينهم على قسمين: علاقة أسرية ضمن نطاق الأسرة الضيقة، وعلاقة غير أسرية.

فأما العلاقة الأسرية فقد ذكر في المرتبة الأولى الأُبُوَّة ثم البُنُوَّة ثم الأُخُوَّة ثم الزوجية ثم العشيرة؛ وهي أسرة أكبر وتشمل الأقارب من الأرحام وغيرهم. وأما غير الأسرية فتبدأ بالجوار ثم الأصدقاء وما تزال تتسع حتى تصل إلى التعامل بين المجتمعات المختلفة كما في آية الحُجُرات التي مرت قبل قليل.

وهذه العلاقات تتفاوت في القيمة والأهمية وفق هذا الترتيب:

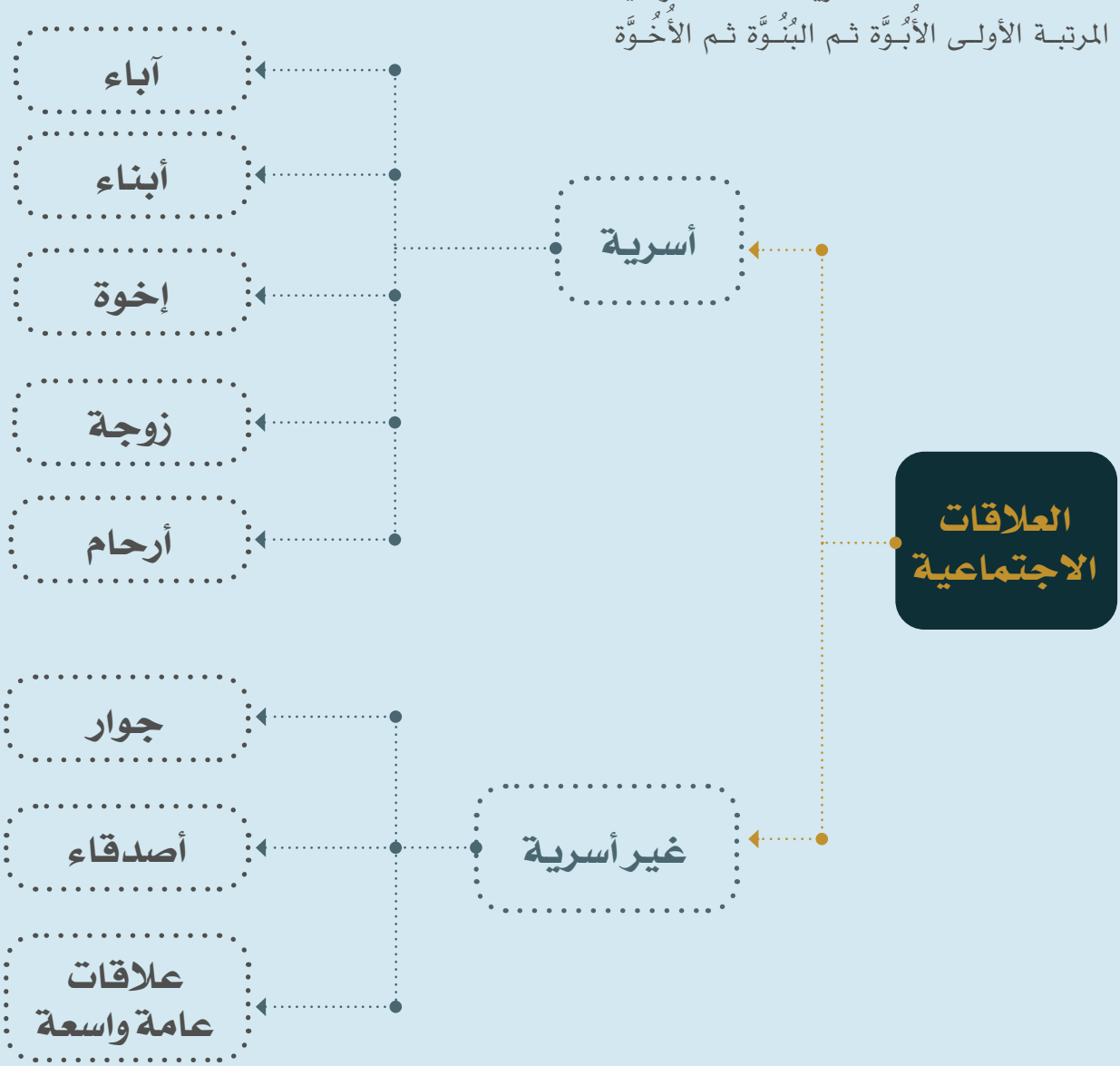

وتشمل كل واحدة من تلك العلاقات حالتين اثنتين تتعلقان بطبيعة الطرف الآخر: " مسلم أو غير مسلم" و" ذكر أو أنثى "، وكلٌّ من تلك العلاقات لها ضوابطها الخاصّة التي تحفظها وتحميها بحسب درجة أهميتها، وبحسب حالتها التي تنتمي لها في الديانة والجنس؛ بما يضمن لتلك العلاقات فعاليتها على الوجه الذي يرضي الله من جهة، وتحقيق ما وجدت تلك العلاقات من أجله من جهة أُخرى.

نشاط

في الصفحات العشر الأولى من سورة النساء آية تضمنت هذه العلاقات على تسلسلها الموجود هنا ابحث عنها واذكرها.

قال صديقي: لم أكن أعلم عن تفاوت مستويات العلاقات الاجتماعية، وهذا يحتّم عليّ إدراك هذا التفاوت، حتى أستطيع إدارتها بشكل صحيح، ويخطر في بالي سؤال: هل لهذه العلاقات بمستوياتها المختلفة أبعادًا عقدية وتشريعية في الإسلام؟ وهل هناك ترابط بين الحقوق والواجبات الاجتماعية؟

البعد التشريعي للعلاقات الاجتماعية

قلت لصديقي: اقرأ معي بتدبر وتأمل النصوص الآتية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» (رواه البخاري برقم ١٢٤٠).

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عِرضه وماله ودمه، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم». (رواه الترمذي برقم ١٩٢٧ وحسنه).

ناقش

- من المخاطَب في آية سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ﴾ وما المقصود بها؟ ومن المخاطَب بقوله ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ وما المقصود بها؟ ولماذا ربطت الآية بينهما؟
- ماذا تمثل الأمور الخمسة في الحديث الأول؛ الحقوق أم الواجبات؟
- وماذا تمثل في الحديث الثاني؛ الحقوق أم الواجبات؟

الحقوق والواجبات متلازمة في التشريع الإسلامي

لعلك تلاحظ أن الإسلام وضع تشريعات توجّه العلاقات الاجتماعية وتبين حدود الحقوق والواجبات فيها؛ لأن قضية الحقوق والواجبات من أهم القوانين التي وضعها اللّهُ تعالى في العمران والاجتماع الإنساني؛ لضمان تحقيق التوازن الذي هو أساس الاستقرار، ولكي تستقيم حياة الإنسان على الطريق السليم، ولتفادي حصول مشكلات وأزمات تقوده إلى خسائر عظيمة.

والحقوقُ في الإسلام لا تنفصل عن الواجبات، ومن هنا نجد أن التشريعات الإسلامية -بنصوصها المختلفة- قد أكدت على التلازم بين الحقوق والواجبات في كثيرٍ من المناسبات، سواء في الحالات العامة؛ كالحديث عن حقوق وواجبات المسلمين فيما بينهم، أو في الحالات الخاصّة؛ كالعلاقة بين الزوج والزوجة، وغيرها من العلاقات كما سنفصل لاحقًا في هذا الكتاب.

قاعدة:

من طالَبَ بحقه لا ينبغي أن يُهمل واجباته، ومن أدى ما عليه من واجبات فلا ينبغي إهمالُ حقه.

قلت لصديقي: لتتضح معك الفكرة أكثر تفكَّر فيما يلي ثم أجب:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال النبي ﷺ: «من ذبَّ عن عِرضِ أخيه ردَّ الله عنه عذابَ النَّارِ يومَ القيامةِ» (رواه الترمذي برقم ١٩٣١ وحسنه)، ومعنى ذبَّ: دافع.

ناقش

- إلامَ تشير الآية الكريمة؟ وما علاقتها بموضوع "الحقوق والواجبات"؟
- ماذا تمثل حالة دفاع المسلم عن عِرض أخيه المسلم في الحديث النبوي المذكور: حقًّا أم واجبًا؟
- إذا قام الإنسان المسلم بواجبه في الدفاع عن أخيه فماذا يكون له في المقابل؟ وبماذا عبَّر النبي ﷺ عن ذلك: بالحق أم الواجب؟
- هل تتوقف تأدية الواجب على الحصول على الحق ابتداءً؟
- ما أهمية قيام العلاقات الاجتماعية على مبدأ التوازن بين "الحقوق والواجبات"؟

خلاصة

يظهر التلازم في الإسلام بين "الحق والواجب" في جعله أداء "الواجب" مدخلًا ومسلكًا للحصول على الحقوق، بل وفي أمر المسلم بتأدية ما وجب عليه، حتى في الحالات التي لا يعطيه فيها الطرف الآخر حقوقه؛ وقد بيّنت الآية الكريمة ما في هذا الأمر من آثار وجدانية عميقة تنعكس على الطرف المقابل إلى درجة أنها قد تكون سببًا في زوال أصل التقصير في أداء الحق، وهو العداوة التي يحملها الطرف المقابل، فجعل تأدية الواجب بغض النظر عن الحصول على الحق سببًا في زوال تلك العداوة، بل وقَلْب تلك العداوة إلى مودة ومحبة، وهذه واحدة من أهم ثمرات أداء الواجبات.

وفي حال تعامل المسلم مع غير المسلمين بهذه الأخلاق وهذا الفكر، فقد يكون ذلك سببًا في تعريفهم بجمال التعامل في الإسلام، وهو ما قد يدفع بعضهم للدخول في دين الله جل وعلا.

نشاط

في السُّنَّة النبوية الشريفة أحداث وأقوال كثيرة حثّت الإنسان المسلم على أن يقوم بواجباته -حتى لو قصر الطرف الآخر بحقه- ابحث عنها واذكر قصة وحديثًا يوضح ذلك.

ناقش

- يقول بعضهم موضحًا العلاقة بين الحق والواجب: "إن الحق ليس هديةً تُعطى ولا غنيمةً تُغتَصب، وإنما هو نتيجةٌ حتميَّةٌ للقيام بالواجب، فهما متلازمان".
- ما طبيعة العلاقة بين "الحق" و"الواجب"؟
- كيف يكون الحق نتيجة حتمية للقيام بالواجب؟

قال صديقي: هل أفهم من بعض ما سبق أن الإسلام لا يكتفي بتقرير قاعدة التلازم بين الحقوق والواجبات لضمان استقرار العلاقات الاجتماعية، بل ينقلها إلى مستوًى أبعد وأعمق هو "البُعد الأخروي والأخلاقي" حيث يرتب عليها منزلة وأجرًا وثوابًا؟

قلت: أحسنت الفهم والتعبير، ودعنا نشرح هذا "البعد الأخروي والأخلاقي" ضمن أمثلة؛ ليكون أدعى للالتزام بتعاليم الخالق الذي يعلم مصلحة خلقه، فشرع لهم ما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم.

البعد الأخروي والأخلاقي في العلاقات الاجتماعية

تأمل معي الأحاديث التالية:

قال النبي ﷺ: «إن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار» (رواه مسلم برقم ٢٦٠٧).

وقال أيضًا: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا» (رواه الترمذي برقم ٢٠١٨، وصححه الألباني).

وقال أيضًا: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» (رواه الترمذي برقم ١٩٥٦ وحسنه).

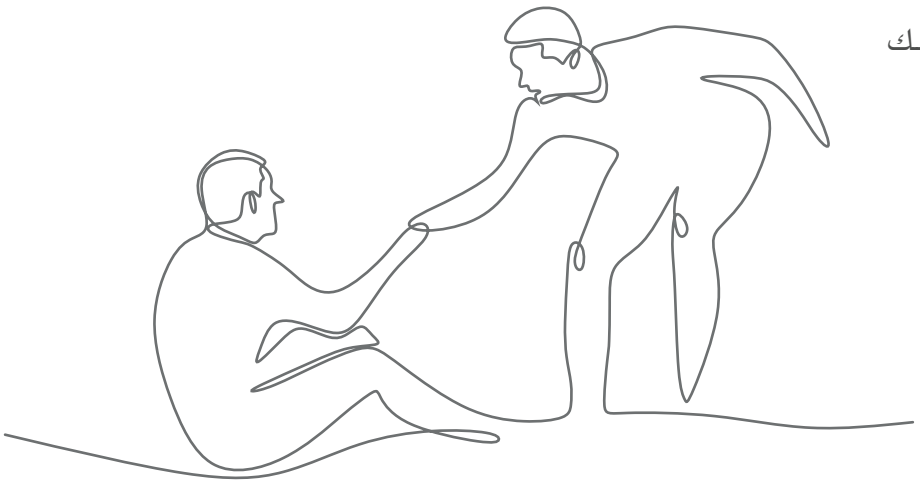

ناقش

- ماذا تفهم من هذه الأحاديث؟
- ما تأثير الكذب على العلاقات الاجتماعية من وجهة نظرك؟
- في ضوء وصف الحديث أن (الكذب فجور) ما هو تأثير الأخلاق على العلاقات الاجتماعية بين الناس في الدنيا؟
- ما تأثير الأخلاق على مصير الإنسان في الآخرة في ضوء أول حديثين؟
- إلى أي مقام رفع الحديث الأخير درجة تبسُّم المسلم في وجه أخيه؟

ترابط العقيدة والعبادة والأخلاق

يقوم الإسلام على ثلاثة أصول: العقيدة والعبادة والمعاملات (وتشمل التعاملات المالية والاجتماعية والأخلاق)، وإذا كانت العقيدة في بعض الديانات عبارة عن معتقدات غيبية مجردة لا شأن لها بالواقع، وإذا كانت عباداتها نوعًا من الرياضة الروحية المجردة، فإن العقيدة والعبادة في الإسلام تتداخلان في المعاملة وحسن الخلق.

إذا أدركت ذلك علمت يا صديقي ورسخ في كيانك وقلبك أن أساس العلاقات الاجتماعية في الإسلام حُسن المعاملة وحُسن الخلق، وأن ذلك ليس فضيلة تمتن بها على الناس، بل هو مقتضى إيمانك وطاعتك لربك، ويترتب عليه الثواب من الله تعالى لمن حسنت علاقاته بمن حوله، والعقوبة لمن ساءت وهو يستطيع تحسينها، كما سنشرح لاحقًا بإذن الله.

الأخلاق ضمانة لاستقرار العلاقات الاجتماعية

الأخلاق قاعدة أساسية لبناء المجتمعات، حيث تُبنى عليها جميع القوانين والأحكام، وهي الأساس الذي تقوم عليه مبادئ الشريعة الإسلامية، وهو الأمر الذي يجعل الأخلاق أساس صلاح المجتمع، والدرع الواقي من المسبّبات المؤدّية لانهياره؛ فالكذب مثلًا من أسوأ الأخلاق مذمة في الإنسان، ولو انتشر في مجتمع ما فستزول الثقة بين أبنائه، وزوالها يؤدي إلى ظاهرة الفردية، وانحسار روح الجماعة والتعاون، وهذا من أعظم أسباب انهيار المجتمعات.

ومن هنا تبرز الأهمية الكبيرة للأخلاق والقيم في تحقيق نوع من الاستقرار الاجتماعي، فإذا ضعُف الالتزام الخُلُقي بين أفراد المجتمع، بدأت المتاعب والاضطرابات السلوكية، وتحولت تلك المجتمعات إلى مجتمعات تحكمها الأهواء والشهوات والغرائز - وهذه لا تنضبط - فيضعف استقرار المجتمع.

ناقش

مرَّ معنا في حديث سابقٍ أنّ عاقبة الكذب النار، كما مرَّ معنا حديث رسول الله ﷺ: «من ذبَّ عن عِرضِ أخيه ردَّ الله عنه عذابَ النَّارِ يومَ القيامةِ».

هل عاقبة الكذب المذكورة في الحديث دنيوية أم أخروية؟

ما الثواب الذي استحقه من دافع عن عرض أخيه؟ وهل هو دنيوي أو أخروي؟

كيف يمكن للجزاء الأخروي أن يؤثر بشكل إيجابي على العلاقات الاجتماعية؟

خلاصة

- إن قيام العلاقات بين الناس وَفق الأخلاق المرتبطة بالتشريع الإلهي والعقيدة الصحيحة يضمن نوعًا من الاستقرار في تلك العلاقات .
- الإسلام ربط العلاقات الاجتماعية بالعبادة ، وجعل أدنى ما يمكن التعبير عنه في العلاقات الاجتماعية - وهو التبسم في وجه الآخرين - بمثابة الصدقة ، وكلما ارتفعت درجة الخُلُق وأثره في المجتمع سلبًا أو إيجابًا ارتفع معه الجزاء بالبشارة أو الوعيد عليه .
- ربط الإسلام العلاقات الاجتماعية بالبعد الأخروي الذي يترك أثره ورهبته في قلوب الناس؛ فيحملهم على ممارسة السلوك الأخلاقي مع من حولهم كأمر له أثر كبير في تحديد سعادتهم وشقائهم يوم القيامة ، ولهذا نجده كثيرًا ما يربط بين الأخلاق الاجتماعية وعواقبها الأخروية .

نشاط إثرائي

اكتب بحثًا عن علاقة الأخلاق والمعاملة الحسنة بالعقيدة وبالعبادة، وعن أثر التعامل الحسن على مصير المسلم في الآخرة.

من مفاتيح الجواب البحث في تفسير هذه الآيات:

[البقرة: ١٩٧]، [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]، [النساء: ٥٨]، [المائدة:٨]، [النحل: ٩٠]، [فصلت: ٣٣-٣٥].

التقويم

١ علِّل ما يلي:

١. الإنسان كائن اجتماعي بطبعه.

.....

.....

.....

٢. الواجبات مدخل للحصول على الحقوق.

.....

.....

.....

٣. الأخلاق ضمان لاستقرار العلاقات الاجتماعية.

.....

.....

.....

٤. الإيمان بالحياة الآخرة يُعمِّق العلاقات الاجتماعية.

.....

.....

.....

٢ اذكر دليلًا على ارتباط العلاقات الاجتماعية بالعبادة.

٣ اذكر دليلًا على ارتباط العلاقات الاجتماعية باليوم الآخر.

٦ أجب بـ (صح) أو (غلط) وصحِّح العبارة المغلوطة:

١. العلاقات الاجتماعية كلها على مستوًى واحد.

٢. لا بدّ للمسلم الجديد من قطع جميع علاقاته السابقة.

٣. لا بد للمسلم الجديد من وضع ضوابط جديدة لعلاقاته السابقة.

٤. العلاقة بين "الواجب" و"الحق" علاقة انقطاع وانفصال.

العلاقة بين المسلم وأسرته

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يعرف مفهوم الأسرة وحدودها في الإسلام.
- يستنبط أنواع القرابة بين الناس وفق التشريع الإسلامي (محارم غير محارم).
- يرتب واجباته تجاه والديه، وأن يميز حقوقه عليهما عما يجودان به بلا إلزام، وأن يحدد ضوابط العلاقة معهما وآدابها.
- يرتب واجباته تجاه أولاده وبناته، وأن يميز حقوقه الواجبة عليهم، وأن يحدد ضوابط العلاقة معهم وآدابها.
- يرتب مع زوجته الواجبات والحقوق المتبادلة بينهما ، وأن يحددا ضوابط العلاقة بينهما وآدابها.
- يرتب واجباته تجاه الإخوة وعموم القرابات، وأن يميز حقوقه الواجبة عليهم تجاهه، وأن يحدد ضوابط العلاقة معهم وآدابها.
- يرتب واجباته تجاه الأقارب من الإناث (المحارم وغير المحارم)، وأن يحدد ضوابط العلاقة معهن وآدابها.
- يرتب واجباته تجاه قراباته غير المسلمين، وأن يحدد ضوابط العلاقة معهم وآدابها.

تمهيد

كل ما قدمته لصديقي في البداية كان بمثابة الخطوط العريضة لموضوع العلاقات الاجتماعية في الإسلام، وهو بالتأكيد لم يحصل بعد على ما أراده من إجاباتٍ تفصيلية كافية شافية، ولهذا لم يكن مفاجئًا لي أن يقول:

قد اقتنعت يا صديقي أنني لست بحاجة لاستئجار غرفة بعيدة عن أهلي وجيراني، ولا لقطع علاقاتي مع أسرتي ومحيطي، وأن مما ينبغي علي: أن أؤسس منهجي الخاص في إدارة علاقاتي الاجتماعية وفق ما يرضي الله؛ لأنني أيقنت أن إدارتها له علاقة وثيقة بإيماني وعبادتي، وسوف أحاسَب عليها إن أسأت بها، وأكافأ في الدنيا والآخرة إن أحسنت بها، وأن أوطِّن نفسي على التعامل مع الناس بأرقى الأخلاق دون انتظار مكافأة من أحد، حتى لو لم يؤد الآخرون حقوقي إلي، إذ يكفيني في ذلك علم الله بي، ومع كل هذا سأكون فطنًا محافظًا على حقوقي بالمعروف.

ولكن ماهي الضوابط في تلك العلاقات؟

فمثلًا: متى أطيع أمي وأبي؟ ومتى لا أطيعهما؟ هل أعطيهما من مالي؟ وهل آكل طعامهما؟ هل أسكن معهما؟ وهل لي أجرٌ وثوابٌ على بِرِّهما وهما على الكفر؟ ومن أصافح من قريباتي النساء؟

كل هذه المسائل وغيرها تخطر في بالي، وأحتاج فيها لإجابات شافية لأؤسس منهجي في التعامل مع من حولي، بل يراودني سؤال: هل للأسرة مفهوم مختلف في الإسلام عن غيره؟ فهل بالإمكان أن نتكلم حول كل هذا؟

قلت له: نعم، بكل تأكيد.

تعال لنتحدث عن العلاقة بين المسلم وأسرته، ولنبدأ بمفهوم الأسرة والقرابات.

مفهوم الأسرة وأنواع القرابات

اقرأ معي بتدبر وتأمل هذه الآية الكريمة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤].

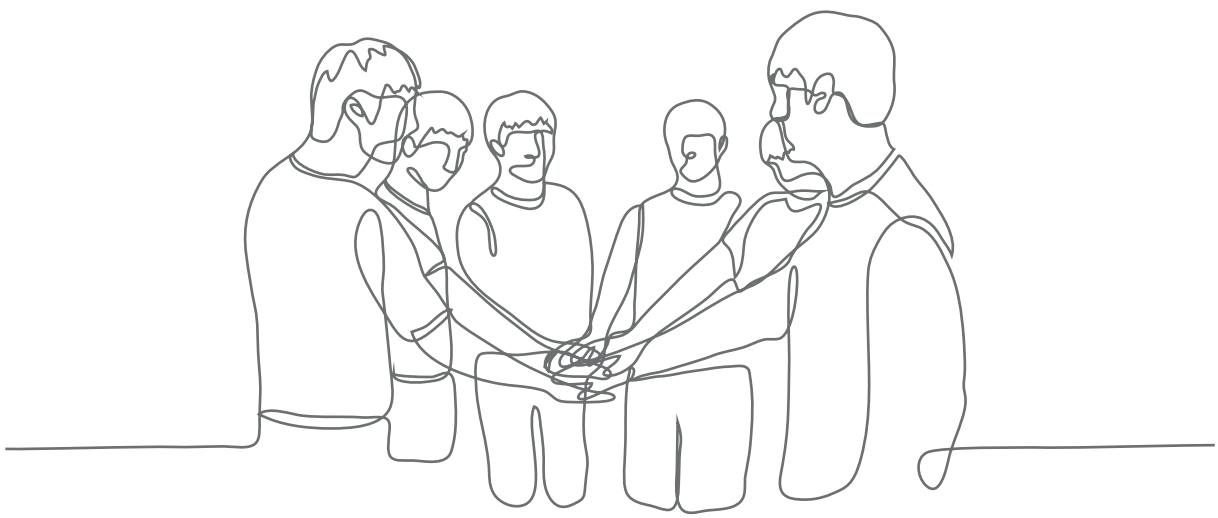

ناقش

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ما المقصود بالنسب؟
- كيف يتحقق معنى الصهر؟

النسب هو العلاقة بين الآباء والأبناء والعلاقة بين الإخوة وبين أبناء الإخوة، وأما المصاهرة فهي العلاقة بين الإنسان وبين قرابة زوجه؛ فصهر الرجل قرابة امرأته وصهر المرأة قرابة زوجها، وهؤلاء جميعهم يشكلون الأسرة في المفهوم الإسلامي، فالأسرة عبارةٌ عن مجموعة من الأشخاص، تربط بينهم روابط النسب أو المصاهرة، وعندما تقوم العلاقة بينهم على أسس سليمة، فسيسعون لحماية بعضهم وتأمين حاجاتهم الجسدية والعاطفية بما يضمن لأفراد تلك الأسرة أن يكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع الذي يشكلون أصغر وحدة جماعية فيه.

نشاط

أعد صياغة مفهوم الأسرة على ضوء فهمك لما سبق، وقارنه بما هو متعارف عليه في بلدك ومجتمعك، واكتب النتيجة.

الأسرة شبكة واسعة من العلاقات

قلت لصديقي: اقرأ معي ما ورد في "ميثاق الأسرة في الإسلام" الصادر عن "اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل": "الأُسرة في الإسلام لا تقتصر على الزوجين والأولاد فقط، وإنّما تمتد إلى شبكة واسعة من ذوي القُربى من الأجداد والجدات والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وغيرهم ممن تجمعهم رابطة النسب أو المصاهرة أو الرضاع".

ناقش

- ما نوع القرابات المذكورة آنفًا؟
- ماذا تسمى قرابة الرجل من جهة الذكور؟
- ماذا تسمى قرابة الرجل من جهة الإناث؟
- هل تتوقع أن ضوابط التعامل مع هذه القرابات على درجة واحدة؟
- هل كل القرابات الإناث الواردة في القرابات المتعلقة بالأسرة تخضع لضابط واحد في التعامل؟ ولماذا؟

قال صديقي: أظن أنه من البديهي أنّ القرابات تسير على مبدأ التسلسل الهرمي في الأهمية وطريقة التعامل، وأقرب تلك القرابات للإنسان والداه وإخوته، ثم الأجداد والأعمام والأخوال، ثم ينتقل إلى القرابات التي تنشأ عن رغبته في الزواج، وما ينشأ عن ذلك من "زوج/زوجة وأولاد"، ثمّ عموم القرابات التي تتفرع عن هؤلاء. قلت: أصبت الإجابة، ولكلٍّ من تلك القرابات ضوابطها وواجباتها فلنتحدث عنها.

قال صديقي: بما أننا قلنا سابقًا إنَّ العلاقات الاجتماعية تستند إلى البُعد التشريعي القائم على الحقوق والواجبات، فليتك تشرح لي هذا البعد في علاقة " الآباء والأبناء " وعلاقة " الزوجة والزوج "، وكذلك إذا كان الطرف المقابل من تلك القرابات غير مسلم، فما الحقوق والواجبات؟ ولا تنس أن تعرِّج على البعد الأخروي أو الأخلاقي وتشرح لي الأجر والثواب فيها.

علاقة المسلم مع والديه في الإسلام

واجبات الأبناء تجاه الآباء

للوالدين في الإسلام مكانة عالية ومميزة، فالإسلام دين البِرِّ، وأعظم البر في الإسلام بر الوالدين، لذا حثَّ الإسلام عليه حثًّا مؤكَّدًا بأن قرن الله سبحانه وتعالى توحيده بالإحسان إليهما، بل وجعل أعظم البر وأفضل الأعمال بعد الصلاة المكتوبة بر الوالدين.

فاقرأ معي بتدبر وتأمل قول الله تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وها هو ﷺ يؤكد على هذه المكانة عندما سأله سائل: أي العمل أفضل؟ فقال: «الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» (رواه البخاري برقم ٥٢٧).

ناقش

- ماذا تفهم من الآية والحديث؟
- لماذا قرنت الآية طاعة الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين؟
- ما سبب هذه المكانة الكبيرة التي خصها الإسلام للوالدين؟
- ماذا تفهم من تقديم برِّ الوالدين على الجهاد في سبيل الله؟

قرن الله سبحانه وتعالى بر الوالدين بتوحيده وعبادته، وجعل حقهما في المرتبة الثانية بعد حقه سبحانه وقبل الجهاد المستحب -مع علو مكانة الجهاد- لتقرير عظم هذا الحق على الإنسان، وذلك لأنهما أصل وجوده في الدنيا، ولهما الفضل الكبير في تربيته وتعليمه وإرشاده والإنفاق عليه، وذلك كله بمحض فطرتهما وشفقتهما عليه، بعيدًا عن مبدأ الحقوق والواجبات، أو ما ينتظرانه من مقابل في المستقبل.

وقد قدَّم الإسلامُ الأمَّ على الأبِ لأنها أضعف منه وأحوج إلى بر أبنائها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» (رواه مسلم برقم ٢٥٤٨).

وكلمة الإحسان والبر عامة، تشمل كل ما ينفعهما ولا يؤذيهما وإن قلَّ، فقد نهى الله سبحانه أن توجَّه لهما أدنى كلمة يمكن أن تحمل الأذى وهي كلمة (أفٍّ) بمعنى التضجر والتململ، ولو بإخراج الصوت من الفم دون التصريح بذلك.

وتأمل معي الآية التي جاءت بعد الكلام عن اقتران توحيد الله وعبادته بالإحسان إلى الوالدين، والتي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤].

ناقش

- **ماذا تفهم من هذه الآية؟**
- **ما واجبات الأبناء تجاه الآباء التي يمكن أن تستنبطها من هذه الآية؟**
- **ما دلالة قوله: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ وذكر الرحمة والدعاء لهما في ضوء الكلام على واجبات الأبناء تجاه الآباء؟**

إن هذه الآية مع قصرها وقلة عدد كلماتها جمعت كثيرًا من المعاني العظيمة في تقرير حقوق الآباء على الأبناء، فمع ما تجمعه كلمة الإحسان المذكورة آنفًا من معانٍ، تأتي هذه الآية لتبيِّن أن أي إحسان تقدمه لوالديك ينبغي أن يكون مع التذلل لهما، والرحمة العميمة بهما، والدعاء لهما؛ اعترافًا بفضلهما السابق عليك في الوجود والتربية، والذي لولاه -بعد فضل الله- لما كنت ولما استطعت أداء هذا الاحسان.

وفي ضوء هذه المعاني الجامعة يمكن أن نعدد بعض واجبات الأبناء تجاه الوالدين على سبيل المثال لا الحصر:

١- من الإحسان إليهما إطعامهما إذا احتاجا الى الطعام، وكسوتهما إذا احتاجا إلى الكسوة، وخدمتهما إذا احتاجا اليها، وهذا من باب التكريم ورد المعروف حيث أطعماك وكسياك وخدماك صغيرًا، يقول الله سبحانه مرشدًا إلى هذا التكريم بذكر أدب نبوي في قصة النبي يوسف عليه السلام مع أبويه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ٩٩، ١٠٠]، فتأمل كلمتي (آوى ورفع) وما فيهما من معاني التكريم.

٢- إجابة الدعوة عند الطلب، وقد وردت في السنة النبوية قصة تحذِّر من عدم الإجابة مع القدرة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان في بني إسرائيل رجل يقال له جُرَيج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تُمِته حتى تريه وجوه المومسات! وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلَّمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: مِن جريج! فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلامَ فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من

ذهب؟ قال: لا، إلا من طين» (رواه البخاري برقم ٣٤٣٦)، فأنت ترى كيف استجاب الله دعاء أم جريج المتعبِّد عليه، حين قصَّر في إجابة دعوتها لما طلبته وهو يصلي صلاة النافلة، وكان هذا الأمر قد تكرر منه أكثر من مرة.

٣- طاعة أمرهما ما دام ليس في معصية: يقول الله سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥]، فاستجابتك لكل أمر منهما ليست فيه معصية لله يكون مصاحبة بالمعروف وقد أمرك الله بها.

٤- أن يتكلم معهما باللين ولا يرفع صوته معهما بشدّة أو غلظة، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يرفع صوته على والديه أو يوجه إليهما ما يكرهان من الكلام فقال: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ [الأحقاف: ١٧]، فهذا جمع مع الكفر بالله كفرًا بحق والديه، وكان الحري به أن يقول لهما القول الكريم اللين، كما أمر الله سبحانه بقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

٥- أن يدعو لهما بالمغفرة والرحمة، كما قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤].

كنت ألحظ على وجه صديقي علامات الاستزادة، وكأنه ينتظر جوابًا لسؤال يدور في ذهنه، وسرعان ما أبداه قائلًا: أنت تعلم يا صديقي أنّ والداي لم يسلما، وإنما بقيا على ما هما عليه، فهل أفهم من كلامك أن لهما نفس المكانة ووجوب الطاعة، حتى لو كانا غير مسلمين؟

علاقة المسلم مع أبويه غير المسلمين:

أجبت بثقة وبقوة: نعم، إن ما سبق من كلام يشملهما. استمع معي إلى قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥].

نناقش

- **ماذا تفهم من هذه الآيات؟**
- **هل تعرف سبب نزول هذه الآيات؟**
- **ما المقصود بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ برأيك؟**
- **كيف يمكن الجمع بين ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وبين ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾؟**
- **ما الحكمة في ختم الآية الأخيرة بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ في هذا السياق؟**

نزلت هذه الآيات في الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ وأمِّه غير المسلمة، وها هو سعد يقص علينا قصته معها فيقول: حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمتَ أن الله وصَّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثَتْ ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ [العنكبوت: ٨] وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] (رواه مسلم برقم ١٧٤٨).

تخبرنا هذه الآيات أنّ طاعة الوالدَين والإحسان إليهما تشمل الوالدَين المسلمَين وغير المسلمَين، فصِلَتهما وخدمتهما واجبة ولازمة في كل الأحوال، إلا أن يأمراه بمعصية فهنا لا طاعة للأبوين -مسلمين كانا أو كافرين- إذ إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إنَّ أعظم شرٍّ يمكن أن يُدعا إليه الإنسان هو أن يكفر بالله، لأنه لو أجاب ومات على الكفر فسيخلد في النار إلى الأبد، فينبغي للمسلم أن يتخذ من يدعوه إلى الكفر أشدَّ عدوٍّ له لأنه يدعوه إلى الخلود في الجحيم، ومع ذلك فإنَّ الله يأمر المسلم إن دعاه والداه للكفر ألا يعاديهما بل يحسن إليهما ويصاحبهما في الدنيا معروفًا، وهذا يبين عظيم حق الوالدين في الإسلام.

وعليه فإنّ المسلم في تعامله مع والديه غير المسلمين يجعل لهما الظاهر فيما ليس فيه حرج، وينفرد بسره بالله تعالى، فيصاحبهما بجسده، أما عقله وقلبه فيتبعان سبيل الله تعالى والنبي ﷺ وطريقه وما أمراه به، وهذا المعنى هو المستفاد بما ختم به سبحانه وتعالى الآية الكريمة عندما قال: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾.

وإن من أعظم الواجبات وأعظم برِّ الأبناء بآبائهم غير المسلمين أن يسعَوا في هدايتهم، ويبذلوا جهودهم في دعوتهم، مع الدعاء لهم والإلانة القول لهم بالنصيحة، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه حين دعاه برفق وحكمة ورقة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم:٤١-٤٥].

وأحيلك إلى كتاب "فبهداهم اقتده" من هذه السلسلة، لمزيد شرح وتفصيل وفائدة من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.

ورد في السنة النبوية حادثة بين أسماء بنت أبي بكر ﷺ وأمها المشركة تؤكد أنّ على المسلم ألّا يقطع صلته بأهله حتى لو كانوا على الشرك، وورد في السيرة الشريفة قصة حدثت لمصعب بن عمير ﷺ مع أمه المشركة .

ابحث عن القصتين ولخصهما وشاركها مع أصدقائك .

(يمكنك الرجوع لكتاب "من قصص الصحابة" من هذه السلسلة).

نشاط

والكلام الذي قيل هنا في حقّ الآباء والأمهات يتضمن بالضرورة الكلام عن الأجداد في جميع حالاتهم، فيشملهم جميع ما يشمل الآباء والأمهات من حقوق دون أيِّ فرق.

والفارق الوحيد بين الآباء المسلمين وغير المسلمين -والذي ينبغي التنبه إليه- هو في حال وفاتهم على الكفر؛ فتصح زيارة قبورهم، ولكن لا تصح الصلاة عليهم ولا دفنهم في قبور المسلمين ولا الاستغفار لهم أو الدعوة لهم بالرحمة.

حقوق الأبناء على آبائهم

إنّ ما يصدر من بذل وعطاء وإحسان من الآباء تجاه أبنائهم لا يكون -عادةً- إلا من محض عاطفة وشفقة منهم دون أن ينتظروا مقابلًا من أولادهم، ومع ذلك فقد شرع الإسلام للأبناء حقوقًا على آبائهم، فأوصى الأب بداية باختيار أم صالحة لأولاده؛ لإقراره بدورها الكبير وأثرها العظيم في تنشئتهم، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (البخاري، ٥٠٩٠ ومسلم، ١٤٦٦).

ثم أرشده إلى اختيار أسماء حسنة لأولاده، فقد كان عليه الصلاة والسلام يغير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة جميلة، كما فعل مع ابنة عمر ﷺ، كانت يقال لها عاصية فسماها رسول الله ﷺ جميلة، انظر صحيح مسلم (٢١٣٩).

ثم أمره بحسن تربيتهم وتعليمهم فقال ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع» (رواه أبو داود برقم ٤٩٥ وصححه الألباني)، والمقصود بالضرب هنا ضرب التأديب غير المبرِّح.

ثم أمره بمعاملتهم بالرحمة والرفق واللين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم» (رواه البخاري برقم ٥٩٩٧).

نشاط

أعد صياغة حقوق الأبناء على الآباء بعبارة من عندك.

قلت لصديقي: تأمل ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

وقال النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» (رواه أبو داود برقم ١٤٨٤ وحسنه الألباني)

ناقش

- كيف يمكن للآباء أن يقوا أبناءهم من النار؟
- هل إنفاق الآباء على الأبناء واجب؟ علِّل رأيك.
- كيف يضيع المرء من يقوته ويعيله؟

خلاصة

تضع هذه النصوص بعضًا من المبادئ الأساسية في العلاقة الأسريّة بين الآباء والأمهات وأولادهم، ومن أهم تلك المبادئ مبدأ النصح، بأن يحثّ الآباء أبناءهم على ما ينفعهم وما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة، ويرشدوهم إلى الصواب وما يرضي الله تعالى، فسعي الأب والأم لوقاية أبنائهما من النار يوم القيامة هو أهم وأعظم ما يمكن أن يقدماه من وافر الرحمة والشفقة بهم، وفي التقصير في ذلك تضييع لهم، مثلما أنّ في التقصير في الإنفاق عليهم تضييعًا لهم، ورغم أن الآباء سيسألون أمام الله سبحانه وتعالى عن كل تقصير في أداء واجباتهم تجاه الأبناء، إلا أن تقصيرهم فيما يتعلق بصلاح آخرة أبنائهم أشد بلا شك.

نظر صديقي والإعجاب بتعاليم هذا الدين العظيم بادٍ على وجهه وقال: هل ما سبق ينطبق على الأبوين المسلمين الجدد تجاه أبنائهم؟

قلت: إن من أهم الواجبات على المسلم الجديد أن يُنشِّئ أبناءه الصغار على الإسلام والعقيدة الصحيحة، وأن يدعو الكبار منهم للدخول في الإسلام، ويبين لهم دلائل التوحيد وجمال الإسلام وخطورة الشرك عليهم في الدنيا والآخرة.

وانظر إلى صنيع نبي الله يعقوب عليه السلام، فلك فيه أسوة حسنة، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣].

واقرأ يا صديقي موعظة أب رحيم اسمه لقمان لابنه كما ذكرها الله في القرآن الكريم، فقد غدت وصايا خالدة يوصيها كل أب مسلم لأولاده، ومن هذه الوصايا:

1- التوحيد: يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، فهذه أهم نصيحة يوجهها أب لولده، ليضمن له بها سعادة الآخرة.

2- بر الوالدين وقد سبقت الآيات فيه.

3- اليقين بعلم الله وقدرته: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

4- إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم الصبر على الأذى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]، وهي نصيحة تكتب بماء الذهب لينقلب الإنسان من صالح إلى مُصلح، فالصلاة لإصلاح نفسك، ثم يكون إصلاح غيرك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يحتاج إلى عزيمة وصبر كبيرين.

5- التواضع وعدم التكبر والتعالي على الناس: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]، فإمالة الخَدِّ كبرًا على الناس، والمشي باختيال وفخر بينهم، دليل جهل بالنفس وضعفها وعجزها وضآلة قدرها، وجهل بالله وعظمته وجلاله، سبحانه وتعالى.

6- التوسط والاعتدال في كل شيء: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩]، فالإنسان يتوصل إلى مطلبه إما بالمشي إليه وإما بأن يستدعيه وينادي بصوته، وفي كلا الحالين فإن القصد والتوسط هو الحال المعتدل المناسب للإنسان العاقل المؤمن.

البُعد الأخروي في بر الآباء والأمهات

هذه العلاقة بين الوالدين وأبنائهما -القائمة على مبدأ الحقوق والواجبات- يعضدها ويزيد في عمقها البُعد الأُخروي، حيث يُضفي على العلاقة بين الآباء والأبناء بُعدًا جماليًّا يمتد أثره إلى ما بعد الحياة، ويكفينا في ذلك أن نترك قلوبنا تتذوق معاني النصوص التي سنوردها.

اقرأ معي بتدبر وتأمل هذين الحديثين الشريفين:

قال رسول الله ﷺ: «الْوالِدُ أَوْسطُ أَبْوابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذلِك الْبابَ، أَوِ احفظْهُ» (رواه الترمذي برقم ١٩٠٠ وصححه).

وعن معاوية بن جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ، أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها» (رواه النسائي برقم ٣١٠٤ وصححه الألباني).

ناقش

- ماذا تفهم من الحديثين؟
- ما ثواب بر الوالدين يوم القيامة؟
- ماذا يمثل الأب والأم في الآخرة؟

.....

.....

.....

لقد أعطى الإسلام لبر الوالدين مكانة عظيمة في تحديد جزائه في الآخرة، فالوالد بحسب الحديث الأول هو باب للجنة، والأم حيث تقف فالجنة تحت أقدامها، وهذا كناية رائعة عن أن الجنة تُنال ببرهما والإحسان إليهما.

البُعد الأخروي في تربية الأبناء

وفي المقابل فللآباء بشريات عظيمة أيضًا على ما يقدمونه لأبنائهم، فاقرأ معي هذين الحديثين الشريفين:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له». (رواه مسلم برقم ١٦٣١).

وقال النبي ﷺ: «مَن عالَ جارِيَتَيْنِ حتَّى تَبْلُغا، جاءَ يَومَ القِيامَةِ أنا وهو» وضَمَّ أصابِعَهُ. (رواه مسلم برقم ٢٦٣١)، وعال بمعنى أنفق عليهما ورعاهما.

ارجع إلى كتاب «الانتماء للإسلام - واجبات وحقوق» من هذه السلسلة، وانظر كيف نظم الإسلام العلاقات الأسرية والحقوق المتعلقة بكل فرد من أفراد الأسرة.

ناقش

- ماذا تفهم من هذين الحديثين؟
- كيف يدوم عمل الأب بعد موته إن كان ولده صالحًا؟
- لماذا خص النبي ﷺ البنات بالذكر في الحديث الثاني؟
- ما ثواب من يحسن تربية أبنائه في الآخرة؟

.....

.....

.....

.....

إن الأبوين إذا أحسنا تربية ولدهما، وأنشآه نشأة حسنة، وراح يدعو لهما بعد موتهما، كان دعاؤه كالصدقة الجارية التي تصدَّقا بها في حياتهما، ومن صبر على تربية أولاده والإنفاق عليهم وخصوصًا البنات -لما يحتجن إليه من مزيد عناية في تربيتهن- كان رفيق النبي ﷺ في الجنة.

نشاط إثرائي

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور: ٢١].

ارجع إلى كتب التفسير المعتمدة – كتفسير ابن جرير مثلًا- واقرأ في تفسير الآية، واكتب بصياغتك عن البعد الأخروي للعلاقات الاجتماعية في الأسرة المسلمة على ضوء فهمك للآية، ثم ناقش ذلك مع إخوانك.

علاقة المسلم مع زوجته والمسلمة مع زوجها

انتهى حديثي ذلك اليوم مع صديقي عند الكلام عن الأهل، وكيف يدير علاقته مع والديه ومع الأبناء في حال صار لديه أولاد، وكان لنا في اليوم التالي لقاءٌ لإكمال الكلام عن بقية العلاقات، فقلت له:

الزوجة يا صديقي شريكة الحياة بالنسبة للزوج، خلقها الله ليسكن إليها، وجعل بينه وبينها مودة ورحمة، وعليهما بنيت حياة البشر على الأرض، وكان مقتضى ذلك أن يتآلفا، وأن يتعاونا على الحياة ومشاكلها، وعلى تربية الأطفال ومسؤولياتها الكبيرة، وقد تقدَّم آنفًا أن الإسلام كرَّم المرأة أُمًّا وجعل جنة ولدها تحت قدمها ليطيعها ويبرها ويحسن إليها، وكرَّمها بنتًا فجعل من يحسن تربيتها والإنفاق عليها رفيق النبي ﷺ في الجنة، والآن سنتبين في السطور الآتية أنه كرَّمها زوجة، فاقرأ معي بتدبر وتفكر:

قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن خلقن من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا» (رواه البخاري برقم ٥١٨٥).

وقال أيضًا: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله» (رواه مسلم برقم ١٢١٨).

ناقش

- ماذا تفهم من هذين الحديثين؟
- لماذا أوصى الله الرجالَ بالنساء؟
- ما الطبيعة التي خُلِقت بها النساء؟

إن الفروقات الطبيعية في أصل خِلقة كل من الجنسين يجب أن تراعى؛ فالرجل بما خلق الله فيه من قوة العضلات، وخشونة الجسم والصوت والحركة، وبما فرضه الله عليه من واجبات النفقة والرعاية والحماية والمسؤولية عن الزوجة وأولادها، كان أحقَّ بقيادة الأسرة – القوامة بالتعبير الشرعي – شرعًا وعقلًا وواقعًا، وهذا في حقيقته نوع ترتيب إداري للعلاقة بينهما.

القوامة في حقيقتها مقام تكليف وتحميل أمانة سيسأل عنها أكثر منه مقام تشريف، لكن بعض الرجال يتعسف كثيرًا في استخدام هذا الترتيب ويظن "القوامة" تعني السلطة والسيطرة والقهر والإذلال لزوجه، وليس هذا مقصود القوامة في الإسلام، فلهذا أوصاه بزوجته؛ أن يتقي الله فيها ولا يظلمها، فهي أمانة عنده وعليه إكرامها كما كانت مكرمة في بيت أبيها وأهلها، لاسيما وأن الله خلق المرأة رقيقة الطبع، جياشة المشاعر، فلا بد للرجل أن يراعي ذلك.

وفي المقابل قد تشعر بعض الزوجات بفضلٍ أو بميزة لها على زوجها، فتتمرد على وظيفتها، وتنازع زوجها الأدوار، مع يقينها بأن الأسرة والأولاد سيكونون الضحية حينها، بل حتى هي ستخسر وتكون المغلوبة لا الغالبة، فتصبح كالفراشة التي تلقي بنفسها على ضوء النار فتحرق نفسها.

لكل ما سبق كان من الضروري إقامة تلك العلاقة بين الزوجين على مبدأ واضح يقوم على التلازم والتوازن بين الحقوق الواجبات.

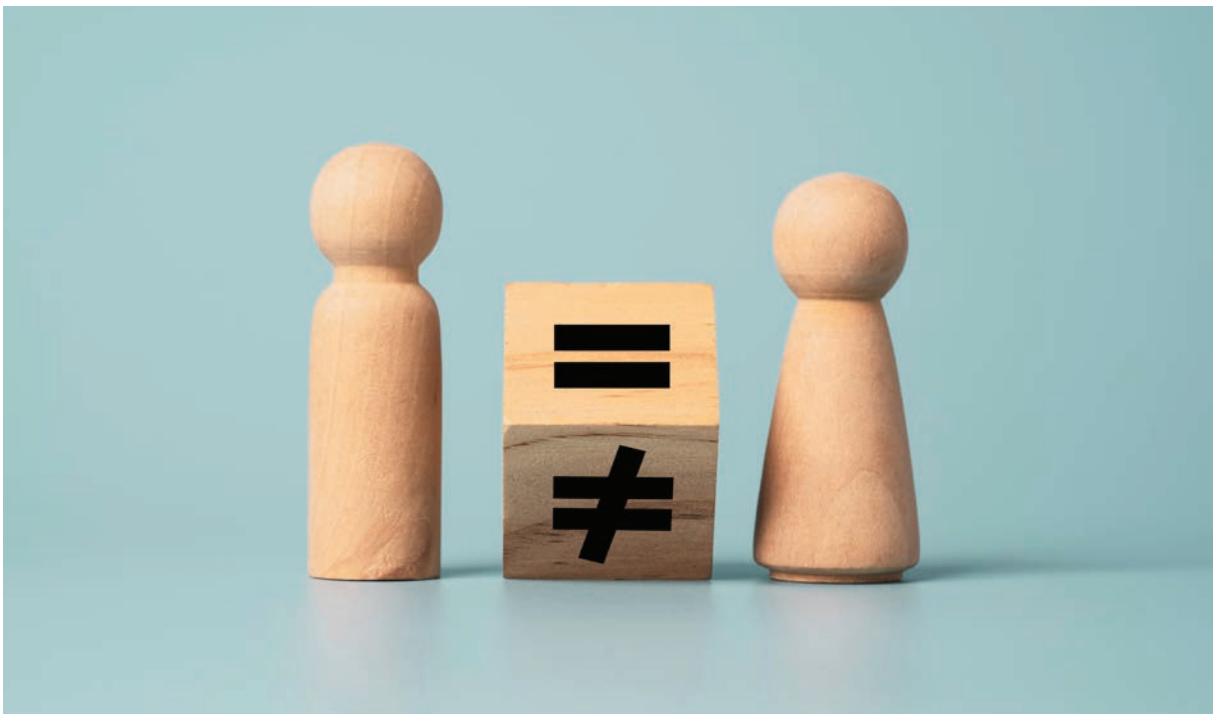

واجبات الزوج

قال الله تعالى مخاطبًا الأزواج: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وقال ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ، أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ» (رواه مسلم برقم ١٤٦٩) وقوله: لا يفرَك، يعني: لا يُبغض.

ناقش

- ماذا تفهم من الآية والحديث؟
- ما التوجيه العام الذي وجهت به الآية الأزواجَ في تعاملهم مع زوجاتهم؟
- هل يملك الإنسان أن يسيطر على مشاعر المحبة والكُره لديه؟
- إلى ماذا أرشدت الآية والحديث في حالة كره الإنسان شيئًا من زوجته؟

إنّ الله تعالى قسَّم أسباب فضله على خلقه، ومن ذلك النساء؛ فهذه أعطاها جمالًا، وهذه أعطاها عقلًا، وهذه أعطاها حكمةً، وهذه أعطاها أمانةً، وهذه أعطاها وفاءً، فإن كنت تريد أن تكون منصفًا حكيمًا فلاحظ كل الزوايا عند نظرك إلى زوجتك، أما أن تنظر لها من زاوية واحدة فقط وتهمل بقية الزوايا؛ فليس هذا من الحكمة في شيء.

وانظر إلى الدقة في قوله تعالى ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ فأنت قد تكره خُلُقًا ما، وقد تكون مُحِقًّا في الكراهية أو غير محق، لكن حين تكره شيئًا يقول لك الله عز وجل عنه: ﴿وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ فعليك أن تطمئن أنك إن كرهت في المرأة شيئًا لا يتعلق بدينها، فاعلم أنك إن صبرت عليه سيجعل الله لك في بقية الأخلاق خيرًا كثيرًا.

قال صديقي: قد يجد الإنسان من نفسه قدرةً على ذلك التوازن النفسي، والقيام بذلك الحق من التعامل والمعاشرة بالمعروف وأن يتصرف بالحكمة والأسلوب المناسب مع زوجته، إلا أنّ كثيرًا من الخلافات قائمةٌ بسبب المال يا صديقي، فهل لك أن تبين لي ما يخصُّ جانب النفقة، هل هي واجبةٌ على الزوج؟ وما هو مقدارها وكيف يمكن تحديده؟

قلت له: اقرأ معي النصوص الآتية بتدبر:

يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ [النساء: ٤].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

ويقول الله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾ [الطلاق: ٧].

وسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تُقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت» (رواه أبو داود برقم ٢١٤٢ وصححه الألباني).

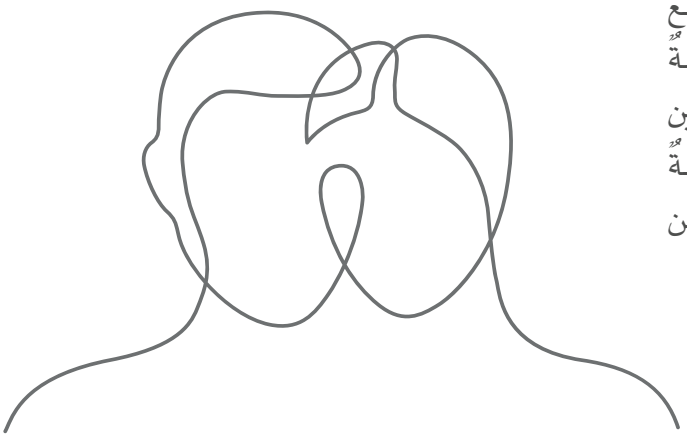

ناقش

- ما المقصود بالصَّدَاق في الآية الأولى؟
- بماذا وصف الله تعالى الرجال في الآية الثانية، وماذا تعني هذه الصفة؟
- بماذا استحق الرجال تلك الصفة؟
- ما الضابط الذي حددته الآية الثانية في تقدير الإنفاق؟
- ما حقوق الزوجة التي تضمَّنها الحديث؟
- بماذا ضبط الحديث قَدْر الإطعام والكسوة؟

لقد وزع الإسلام المسؤوليات بين الزوجين، ورسم إطارًا عامًّا تدور حوله حقوقهما وواجباتهما ، ارجع إلى كتاب «**الانتماء للإسلام - واجبات وحقوق**» من هذه السلسلة، لمعرفة المزيد عن هذا .

كل جماعةٍ من الجماعات -أيًّا كانت- تحتاج إلى قائدٍ يتحمل مسؤولية تسيير الأمور فيها وإدارتها، وتلك الإدارة في الأُسرة هي ما يُعبّر عنها بالقوامة، فالقوامة تعني تحمل أعباء إدارة شؤون الأُسرة وتحمّل نفقاتها والقيام على شؤون التربية فيها، فهي إذًا قوامة تكليفٍ ومسؤولية، لا قوامة تشريفٍ وتسلُّطٍ وتجاوزٍ للحدود، فمن القوامة يتفرع واجبُ الزوج في الإنفاق على زوجته، وأول هذا الإنفاق عند الإقدام على الزواج بها حيث يعطيها صَدَاقًا وهو مبلغ من المال تستحقه عند عقد الزواج إكرامًا لها، ويطلق عليه اسم المَهْر، ثم ينفق عليها في بيته إنفاقًا يتقيد باستطاعته المادية والاجتماعية، فهو مسؤول عن تأمين ما تحتاج إليه الزوجة من طعام وملبسٍ ومسكنٍ، وهو أمرٌ واجب عليه ولا مَفر له منه وإن كانت غنيّة، ويُقيَّد بحدود استطاعته وقدرته، دون إفراطٍ أو تفريط، ويضاف إلى هذا الإنفاق المادي رعاية دينها وتوجيهها وتعليمها أمور دينها يقول الله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

نشاط

لخِّص الحقوق الواجبة للزوجة على الزوج حسب ما ذُكر في هذا المحور.

واجبات الزوجة

نلاحظ في تتمة آية القوامة أن الله تعالى جعل في مقابل واجبات الزوج، حقوقًا للزوج تجب على المرأة، فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إن لكم على نسائكم حَقًّا، ولنسائكم عليكم حَقًّا، فحقكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ من تكرهون، ولا يأْذَنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» (رواه الترمذي برقم ٣٠٨٩، وصححه).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تُصُم المرأة وبعلُها شاهدٌ إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه» (رواه مسلم برقم ١٠٢٦). **بعلُها** : أي زوجها .

ناقش

- **ماذا تفهم من هذه النصوص؟**
- **ما معنى قوله (قانتات)؟**
- **ما المبدأ الذي تقوم عليه واجبات الزوجة تجاه زوجها؟**

تـدور جميـع واجبـات المـرأة الزوجيـة -التـي أقرهـا الشـرع حقوقًـا للـزوج علـى زوجتـه- حـول فكـرة "الطاعـة" في غيـر معصيـة، وذلـك بصفتـه القائـد الأول للبيـت، وربـان سـفينته نحـو بَـرِّ الأمـان، يضـاف إليـه حـق الفـراش وعِفتـه وطهـره وحفـظ حُرمـة بيتـه، وعـدم إفشـاء أسـراره وحفـظ مالـه في غيابـه وحسـن الخلـق معـه، فهـذا هـو أسـاس مـا تقدمـه الزوجـة في سـبيل اسـتقرار الحيـاة الزوجيـة واسـتمرارها وإثمارهـا.

نشاط

لخّص الحقوق الواجبة للزوج على الزوجة التي وردت في هذا المحور.

البُعد الأخروي في العلاقة الزوجية

قال صديقي: وهل للعلاقة الزوجية بعدٌ أخروي؟

قلت نعم، وانظر لحكمة الله في تعاليم دينه، فالعلاقة الزوجية في واقعها المشاهَد لا تسلم من منغصات وأحمالٍ قد تستثقلها النفس على المدى البعيد، فيأتي البُعد الأخروي لهذه العلاقة ليكون له أثرٌ كبير في تزويدها بأسباب ديمومتها، وبمصبرات تخفف من وطأة أعبائها، ولنستمع إلى حبيبنا ﷺ حين يقول في حق الزوجة: «إذا صلَّت المرأةُ خَمْسَها، وصامَت شهرَها، وحصَّنَتْ فرجَها، وأطاعَت زوجَها، قيلَ لها: ادخُلي الجنَّةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شِئتِ» (رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٤١٦٣ وصححه الألباني).

وفي حق الزوج يقول: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخيركم خيركم لنسائهم» (رواه الترمذي برقم ١١٦٢ وصححه).

ناقش

- **ماذا تفهم من هذين الحديثين؟**
- **ما ثواب الزوجة يوم القيامة إذا أطاعت زوجها؟**
- **ما علاقة كمال الإيمان وحسن الخُلُق بالإحسان إلى الزوجة؟**

فها أنت ترى كيف نص الحديث الأول على أن الزوجة إذا أدَّت ما عليها تجاه زوجها من واجبات مع أداء ما فرض الله عليها من عبادات نالت الجنة، وأثبت الحديث الثاني الخيرية وكمال الإيمان للزوج بالإحسان إلى زوجته، وبحسن الخلق معها.

دين الزوج والزوجة

اطمأنَّ بالُ صديقي وسمع ما يريح فؤاده، وبقي عنده إشكال واحد، وهو صفات الزوجة أو الزوج، وخصوصًا ما يتعلق بقضية دِين ذلك الزوج أو الزوجة، هل ينحصر الاختيار في المسلمات فقط، وهل يحقّ للمسلمة أن تتزوج من غير المسلمين؟

قلت له: زواج المسلم من الكتابية -وهي التي على دين اليهودية والنصرانية- جائز بشروط عند الفقهاء، وأجمع الفقهاء على حرمة زواج المسلمة من الرجل غير المسلم، والدليل القرآني يدل على ذلك.

والأصل في هذه القضية أن يكون اختيار الزوجة أو الزوج على أساس التزامهما بالدين الإسلامي، وهو ما حثَّ عليه ﷺ في مناسبات كثيرة؛ لأجل الحفاظ على الدين ومستقبل الأولاد الأخروي كما مر معنا، واقرأ معي هذه الأحاديث بتمعن:

قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». (رواه البخاري برقم ٥٠٩٠).

وقال ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض» (رواه الترمذي برقم ١٠٦٦ وصححه).

نناقش

- **ماذا تفهم من هذين الحديثين؟**
- **من المسؤول عن تربية الأولاد في الأسرة؟**
- **لو افترضنا وجود أب مسلم وأم غير مسلمة، ما الذي يضمن نشأة الأولاد نشأة دينية إسلامية صحيحة؟ قارن ذلك بما لو كان الأبوان مسلمين.**
- **ما الحكمة من الحث على أن يكون الزوجان مسلمَين، وعلى درجةٍ عالية من التدين وحسن الخُلُق؟**

أنـت توافقنـي الـرأي أن الأُسـرة هـي حاضنـة الأفـراد، لا برعايـة أجسـادهم فقـط، بـل بمـا هـو أهـم مـن ذلـك، ألا وهـو غـرس القيـم الدينيـة والخُلُقيّـة في نفوسـهم، وتبـدأ مسـؤولية الأسـرة في هـذا المجـال قبـل تكويـن الجنـين، بحُسـن اختيـار كلٍّ مـن الزوجـين للآخـر، وبتقـديم المعيـار الدينـي والخُلُقـي في هـذا الاختيـار، وتسـتمر هـذه المسـؤولية بتعليـم العقيـدة والعبـادة والأخـلاق لأفـراد الأسـرة، وتدريبهـم علـى ممارسـتها، ومتابعة ذلك حتى يبلغوا رُشدهم واستقلالهم بالمسؤولية الدينية والقانونية عن تصرفاتهم.

نشاط إثرائي

ابحث في زواج المسلمة من غير المسلم واذكر الحكم الشرعي فيه، ودليله، وحكمته.

وابحث في حكم الزواج من غير المسلمة ولخِّصه في دفترك.

(بإمكانك الاستعانة بالإنترنت، ويمكنك الرجوع لكتاب: "أحكام العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم"، للدكتور علي محمد يوسف المحمدي).

علـت وجـه صديقـي البشاشـة التـي توحـي أنّـه قـد فهـم كيفيـة إدارة العلاقـات بـين الزوجـين في الإسـلام، فانتقلنـا للـكلام عـن إدارة العلاقـات مـع الإخـوة وبقيـة القرابـات.

علاقة المسلم مع إخوته وعموم قراباته (الأرحام)

قلت: كلما كانت الأسرة متماسكة متعاونة في السرّاء والضراء، متآزرة وقت الشدة والرخاء، كانت قوية وكان المجتمع قويًّا صلبًا يصعب اختراقه والنيل من عزته وكرامته بأي سببٍ خارجي؛ من المحن والحروب والابتلاءات، ولذا كان أمر الله تعالى بصلة الإخوة والقرابات، والتي أكّد على أهميتها وضرورة تلاحمها، حين عبّر عنها بلفظ الرَّحِم، والتي قصد بها جميع الإخوة والقرابات، مؤكدًا على وثيق علاقاتهم حين جعلهم جميعًا وكأنهم شركاء - بشكل مباشر أو غير مباشر - في ذات الرَّحِم التي كانت سبب وجودهم، وقد توالت النصوص الكثيرة التي تعظّم أمر صلة الرحم وتبين أهميتها الكبيرة، فاقرأ معي هذه الأحاديث:

قال ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِمُ، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك. ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٤]» (رواه مسلم برقم ٤٧٦).

وقال ﷺ: «يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول؛ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك» (رواه النسائي برقم ٢٥٣٢ وصححه الألباني).

وقال أيضًا: «ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصِلَ الذي إذا انقطعت رحمه وصلَها» (رواه البخاري برقم ٥٩٩١).

ناقش

- ما الأمور التي يُعَدُّ فِعلها من صلة الرحم؟
- ماذا تُعَدُّ النفقة على الإخوة والأخوات؟
- من عامل أقرباءه على مبدأ المكافأة فقال: نزور من يزورنا فقط، ما محله من صلة الرحم؟
- ماذا نفعل مع القريب الذي قطع صلته بنا؟

تتحقق صلة الرحم بجميع أنواع الإحسان، ومنها: الزيارة، والمعاونة، وقضاء الحوائج، والسلام، وكذلك بذل المال للأقارب بقدر الاستطاعة، فكلّ هذه الأمور تعد من صلة الرحم، حتى في حال تقصير الطرف الآخر في شيء منها، فمبدأ صلة الرحم يقوم على مباشرة الإنسان لواجباته، دون انتظار حصوله على حقوق مقابل ذلك.

والأرحام نوعان

رَحِم مَحرم، وصلتهم واجبة، وتشمل:

الآباء والأمهات وأبناءهم؛ وهم الإخوة والأخوات مع أبنائهم.

والأجداد والجدات وأبناءهم؛ وهم الأعمام والعمات والأخوال والخالات.

ورحم غير مَحرم وصلتهم مستحبة وهم: كل قريب غير المذكورين آنفًا، وهم أبناء العم والعمة وأبناء الخال والخالة.

البُعد الأُخروي في العلاقة مع الأرحام

قال صديقي: لا شك أن لصلة الرحم أبعادًا أخروية.

قلت: نعم، ويظهر ذلك في صلة الرحم بصورة بارزة، وليس أدل على ذلك من حديث النبي ﷺ حين قرن الإيمان بالله واليوم الآخر بالأمر بصلة الرحم، فقال ﷺ: «مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (رواه البخاري برقم ٦١٣٨).

وقد جعل قطع الرَّحِم مانعًا من دخول الجنة، فقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» (رواه مسلم برقم ٢٢٥٦).

التعامل مع عموم القرابات غير المسلمة

كان صديقي يجد إشكالًا يتبادر لعقله في تعاملاته مع الأقرباء -لا سيما من كانوا على غير دين الإسلام- حين يقرأ في القرآن الكريم الآية التي تقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فسألني: كيف أفهم المسألة على وجهها الصحيح؟

قلتُ: إنَّ جميع ما قررناه فيما سبق، إنما ينطلق من مبدأ "الحقوق والواجبات" والمعاملة بالمعروف، وهو مبدأ يختلف عن المودة والمحبة، فالمبدأ الأول يقوم على المعاملة الحسنة وأداء ما عليك من واجبات، وهو أمرٌ لا دخل للقلب والمشاعر فيه، ولا يدخل فيما نهى القرآن عنه، إذ المنهي عنه هو محبة غير المسلمين؛ فيحملنا هذا على ترك بعض ما أمرنا الله به، أو الوقوع في المنهيات التي أمرنا باجتنابها، تطييبًا لخاطرهم أو إرضاءً لهم، فحينئذ تكون الحُرمة، وتشملنا تلك الآيات، لأن المؤمن يقدم محبة الله على ما سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ

تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة:٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

اقرأ في تفسير الآيتين التاليتين، واستنبط القاعدة التي تضبط العلاقة في التعامل مع الأقرباء غير المسلمين:

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

نشاط إثرائي

قارن ما استنبطتَه مع المقولة التالية: "البِرُّ والمعروف غير الوُدِّ؛ لأن المعروف يصنعه الإنسان مع من يحب، ومع من يكره، مع المؤمن ومع الكافر، تطعمه إذا جاع، وتسقيه إذا عطش، وتستره إن كان عريانًا، أما المودة فلا تكون إلا لمن تحب؛ لأنها عمل قلبي".

أنواع القرابات الإناث

تنقسم قرابات الإناث في الإسلام إلى نوعين: محارم وغير محارم، وتختلف ضوابط العلاقة الاجتماعية بهن تبعًا لذلك، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى سورة كاملة سماها "سورة النساء" ورد فيها ما عالج هذه القضية، فاقرأ معي هذه الآية بتدبُّر وتأمُّل:

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

[النساء: ٢٣].

ناقش

- **ماذا تفهم من هذه الآية؟**
- **ماذا يُطلَق على النساء اللاتي لا يجوز للرجل الزواج منهن؟ وما سبب التسمية؟**
- **من هن النساء اللاتي يحرم على الرجل الزواج منهن؟**
- **ما الحكمة التشريعية في منع الزواج من المحارم؟**
- **ما الخصوصية الإيجابية للمحارم؟**

خصوصية المحارم

يُطلق مصطلح المحارم في الإسلام على النساء اللاتي لا يجوز للرجل أن يتزوجهن، وهنَّ في الغالب قرابات الرجل من النساء اللاتي لهنّ خصوصية عن سائر النساء، حيث يستطعن الدخول على الرجل المحرم عليهن ومصافحته، ويراهنّ دون حاجة إلى ارتداء الحجاب، ويستطيع أن يسترسل معهن في الحديث في أي وقت وتحت أي ظرف وفي أيّ موضوع طالما أنه لا يخدش الحياء.

أما الحكمة من تحريم الزواج بهنّ فعديدة، منها: تسهيل الخلطة معهنّ، وقطع أسباب الغيرة والخصومة بين القرابة الواحدة، نظرًا لما تفرضه طبيعة الزواج من تنافس بين المرأة ونظيراتها من النساء أمثالها، كما أنّ في الخلطة بهنّ تعويدًا وتدريبًا للرجل على طبائع المرأة ومداخلها، وتهيئة لقلبه وعقله للحبِّ الخالص الصافي بعيدًا عن غريزة الشهوة.

يقول أحد المفسرين:

"فلو لم يدخل على المرأة أبو زوجها وابنه. ولم تدخل على الرجل أم زوجته وبنتها، لبقيت المرأة كالمحبوسة في البيت، ولتعطل على الزوج والزوجة أكثر المصالح، ولو أذنًا في هذا الدخول ولم نحكم بالمحرمية فربما امتد عين البعض إلى البعض وحصل الميل والرغبة، وعند حصول التزوج بأمها أو ابنتها تحصل النفرة الشديدة بينهن، لأن صدور الإيذاء عن الأقارب أقوى وقعًا وأشد إيلامًا وتأثيرًا، وعند حصول النفرة الشديدة يحصل التطليق والفراق، أما إذا حصلت المحرمية انقطعت الأطماع وانحبست الشهوة، فلا يحصل ذلك الضرر، فبقي النكاح بين الزوجين سليمًا عن هذه المفسدة".

إثراء

التعامل مع القرابات الإناث غير المحارم

بعد أن بينت لصديقي خصائص وميزات التعامل مع القرابات المحارم، بقي أن أميّز له التعامل مع القرابات الإناث غير المحارم، فقرأت له الحديثين الآتيين:

قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم» (رواه مسلم برقم ٢٤٨٠).

وقال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء. فقال رجل مِن الأنصار: يا رسول الله أفرأيْتَ الحموَ؟ قال: الحمو الموت» (رواه مسلم برقم ٤١٥٤)، والحمو: هو قريبُ الزوج؛ كالأخ والعم والخال وغيرهم.

ناقش

- ماذا تفهم من هذين الحديثين؟
- هل يجوز أن يختلي الرجل بقريبته غير المحرمة؟
- ما الشرط الذي وضعه الحديث الأول للسماح بذلك؟ ولماذا؟
- لماذا وصف النبي ﷺ الخلوة بين زوجة الرجل وأقاربه بالموت؟

مـن المعلـوم أن الوقايـة خيـر مـن العـلاج، وليـس في اتخـاذ الحيطـة والحـذر اتهـام أو إسـاءة للرجـال أو النسـاء، فحمايـة المـرأة مـن الأخطـار لا ينقصهـا بـل يرفـع مـن شـأنها وقيمتهـا، ولمـا كان دخـول الرجـال علـى النسـاء مـن أخطـر مقدمـات الزنـا، ومـن بواعثـه، ومـن فرصـه المهيـأة ، ولمـا كان الوسـيلة الأولـى ليمـارس الشـيطان بهـا غوايتـه وتزيينـه؛ نهـى رسـول اللّه ﷺ عـن دخـول الرجـال الأجانـب علـى النسـاء في غيبـة أزواجهـن، فقـال بأسـلوب الحـزم والتحذيـر: إياكـم والدخـول علـى النسـاء، فقـال أحـد السـامعين: يـا رسـول اللّه، وأقـارب الـزوج؟ ألا يدخلـون؟ قـال رسـول اللّه ﷺ: هـم الخطـر الأكبـر، الشـر مـن جانبهـم أكبـر مـن غيرهـم مـن الأجانـب، لأن دخولهـم عليهـن والإقامـة عندهـن قـد يتسـامح بـه المجتمـع ولا ينكـره، فتتهيـأ الفرصـة للشـيطان للغوايـة ويفتـح بابًـا للمعصيـة، فالحـذر مـن جانبهـم أوجـب.

التقويم

١ علِّل ما يلي:

١. المودة تختلف عن التعامل بالمعروف.

٢. أهمية الزواج من شريكٍ على دين الإسلام.

٣. كُره صفةٍ في الزوجة -عدا الدين- ليس مبررًا للانفصال عنها.

٤. اقتران ذِكر طاعة الوالدين بذِكر توحيد الله وعبادته.

٢ أجب بـ (صح) أو (خطأ) وصحِّح العبارة الخطأ:

١. بِرُّ الوالدَين يختصّ بالوالدَين المسلمَيْن فقط.

٢. القوامة للزوج صفة تسلط واستبداد.

٣. الإطعام والكسوة غير واجبة على الزوج إذا كانت الزوجة غنية.

٤. النفقة على الأقارب من صلة الرحم.

٥. صلة الرحم تختص بالأقارب الذين يبادلوننا الزيارات.

٣ اختر الإجابة الصحيحة:

١. تدور واجبات الزوجة تجاه زوجها حول معنى:

أ. الابتلاء والفتنة

ب. الفتنة والدنيا

ج. الابتلاء والآخرة

د. الدنيا والآخرة

٢. تدور واجبات الزوج تجاه زوجته حول معنى:

أ. النفقة

ب. المعاشرة بالمعرف

ج. الإجابتان (أ + ب)

د. كل الإجابات السابقة خاطئة

٣. إباحة المباسطة في الكلام مع القرابات الإناث يشمل النساء:

أ. المحارم

ب. غير المحارم

ج. الإجابتان (أ + ب)

د. كل الإجابات السابقة صحيحة

٤ عدِّد:

١. ثلاثة من واجبات الأبناء تجاه الآباء.

٢. اثنين من الأمور التي تُعد من صلة الرحم.

علاقة المسلم مع أفراد المجتمع من حوله

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يرتب المسلم واجباته تجاه أصدقائه وجيرانه ومجتمعه.
- يميز حقوقه الواجبة على أصدقائه وجيرانه ومجتمعه تجاهه.
- يحدد ضوابط العلاقة وآدابها مع الأصدقاء والجيران والمجتمع.

علاقة المسلم مع أخيه المسلم

فهمت من صديقي أنّه يريد أن يعرف أكثر عن حدود علاقة المسلم مع الناس حوله؛ من صداقاتٍ وجيران، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. فبدأنا كلامنا بتأسيس وبيان الحقوق والواجبات المتبادلة بين المسلم وأخيه المسلم، لا سيما أنني أوصيته بزيارة المسجد الذي يقع في طرف المدينة التي نسكنها، والانضمام لأنشطتهم وفعالياتهم، واتخاذ المسلمين هناك إخوة له، وتكوين صداقات معهم.

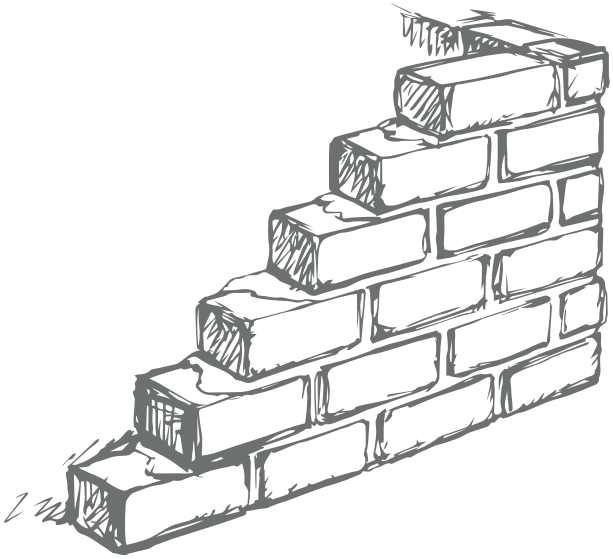

حقوق المسلم

أوردت لصديقي حديث رسول الله ﷺ الذي يحدد بوضوح حقوق المسلم الواجبة له على أخيه المسلم، حيث يقول ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» (رواه مسلم برقم ٤١٤٠).

والمقصود بقوله "سَمِّته" هو قول: يرحمك الله، بعد عطاسه وقوله الحمد لله.

ناقش

- **ماذا تفهم من هذا الحديث؟**
- **ما حقوق المسلم على أخيه المسلم؟**
- **ما الحكمة من تشريع هذه الحقوق بين المسلمين؟**

إن حقوق المسلم على المسلم تبدأ من اللحظة الأولى للقائه، وذلك بتوجيه السلام إليه بلفظ: السلام عليكم، وفي السلام إشارة كبيرةٌ إلى أنّ مدار كل ما سيكون بين المسلمَين من علاقة قائم على تحقيق "السلام" لكليهما، فهو سلام قولاً وفعلاً فـ «المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ ويَدِهِ» (رواه البخاري برقم ١٠)، كما أخبرنا حبيبنا محمد ﷺ، والذي بيّن لنا أيضًا أنّ تبادل السلام بين الناس يوصل إلى ما هو أعمق من مجرد السلام وهو المحبة، وذلك في قوله: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». (رواه مسلم برقم ٥٤).

وبعد تأسيس العلاقة على السلام، تأتي بقية الحقوق التي تتمثل في إجابة دعوته إلى ما يدعوك إليه من طعام، إذا طلب منك ذلك بشكل مباشر ولم يكن لك عُذرٌ في ترك الإجابة، كما تتصل سلسلة تلك الحقوق بتقديم النصيحة له، ولا سيما إذا طلب منك ذلك، مع وجوب نصحه عليك وإن لم يطلبه إن كان في نصيحتك ردٌّ له عن تصرف سيِّئ أو حمايته من أمر سيِّئ، وتمتد الحقوق لتصل إلى حال مرضه، فمن حقه عليك أن تزوره بما يخفف عنه بعض ما يجد في نفسه من كرب المرض، ولا تقف تلك الحقوق على حدِّ الحياة، بل إنها تمتد إلى ما بعد الموت، فإنّ من حق المسلم على المسلم أن يمشي في جنازته ويتبعها إلى حين الدفن.

من آداب زيارة المريض:

أ- يستحبّ للزائر أن يطيّب نفس المريض بإطماعه في الحياة وقرب الشفاء.

ب- تخفيف العيادة وعدم تكرارها كثيرًا إلا إن رغب المريض في ذلك.

ج- أن يقول للمريض: "لا بأس، طهور إن شاء الله".

د- يُستحب أن يدعو للمريض بالأدعية المأثورة.

إثراء

قلت لصديقي: اقرأ ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (رواه مسلم برقم ٥٨١٩)، وطلق بمعنى: سهل ومبتسم.

وقال ﷺ: «من صُنِعَ إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء» (رواه الترمذي برقم ٢٠٣٥ وحسنه).

وقال ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك مُوَكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك المُوَكَّلُ به: آمين، ولك بمثل» (رواه مسلم برقم ٥٠٤٣).

ناقش

- **ما الأثر النفسي لمقابلة الآخرين بوجه بشوش؟**
- **كيف ينبغي أن نقابل المعروف الذي أُسدِي إلينا كما يرشد إليه الحديث الثاني؟**
- **ما أثر الدعاء للآخر في حضوره؟**
- **ما العوامل التي تجعل الدعاء للآخرين في ظهر الغيب مدعاةً للاستجابة؟**

لقاء المسلم بالمسلم باب من أبواب الخير والتوادِّ والتراحم؛ فعلى من تيسر له هذا الباب أن يطرقه بما يغرس في النفوس تلك المودة؛ فيبدأه بالسلام وانبساط أسارير الوجه وطلاقته، وهذا المعروف لا يكلِّف شيئًا من مال ولا جهد، بل يمنح المنبسط هدوءًا وراحةً وسعادةً، ويمنح أخاه أمنًا وأمانًا واطمئنانًا، وأما المعروف الذي يبذل صاحبه فيه مالًا أو جهدًا فنجد أنّ رسول الله ﷺ يرشدنا أن نقابل ذلك المعروف بمعروف آخر، ولو بالدعاء لصانعه إن لم نجد ما نقابله به، بل ويرشدنا إلى حالٍ أعلى من الدعاء في حضوره، وهي حال الدعاء له في غيبته، لأنّه يدل على الصدق والإخلاص والمحبة الصافية، وحب الخير للآخرين، لذا كان الدعاء في ظهر الغيب -للأخ البعيد غير الحاضر- أقرب للإجابة.

خلاصة

واجبات المسلم

قلت لصديقي: وفي مقابل تلك الحقوق، تظهر مجموعة من الواجبات للمسلم على أخيه المسلم، وهي بدورها ذُكرت مجملةً في نصوصٍ كثيرة، ومنها هذا الحديث الجامع من كلامه ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يَبِع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يَحْقِره، التقوى ها هنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- حسب امرئ من الشر أن يَحْقِر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرضه» (رواه مسلم برقم ٥٦٩٢).

ناقش

- ماذا تفهم من هذا الحديث؟
- ما الأمور التي نهى النبي ﷺ عنها المسلم في تعامله مع أخيه المسلم؟
- لماذا نهى النبي ﷺ عن الحقد والحسد؟
- ما أثر احتقار المسلم لأخيه على العلاقة بينهما؟
- ما دلالة ذكر التقوى ومكانها في هذا الحديث؟

ارجع إلى كتاب «**الانتماء للإسلام - واجبات وحقوق**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه كيف أن العطاء يقابل بالعطاء .

إن رابطة الأخوّة في الإسلام مبنية على إشاعة روح المودة والسماحة، والتجاوز عن الأخطاء، إذ إنَّ كمال الإيمان والإسلام يقتضيان صفاء القلوب وتخلصها من الأمراض القلبية المعنوية، ومن أخصِّها الحقد والحسد، والتباغض، والقطيعة والهجران، والإعراض، والتنافس في البيوع ومتاع الدنيا المفضي إلى الظلم؛ ومن هنا كان الاحترام همزة الوصل بين المسلم وأخيه المسلم، وذكره النبي ﷺ بعد تكرار ذِكر التقوى وأنها في القلب لينبه إلى أن الاحترام نابع من التقوى، فالتقي لا يحتقر أخاه المسلم، بل يحمله تقاه على تقديره وحفظ حرمته وحفظ دمه وماله وعِرضِه، وكل ذلك ينعكس قوة على تلك العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم.

نشاط

ورد حديثٌ في السنة الشريفة يبين الحدَّ الأقصى من عدد الأيام التي يمكن للمسلم أن يهجر فيها أخاه، ابحث عنه واذكره.

إثراء

من السور التي تؤسس لفكرة الحقوق والواجبات بين الناس عمومًا وبين الأصدقاء خصوصًا، سورة الحُجُرات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحُجُرات : ١١].

نناقش

- من المخاطَب في هذه الآية؟
- ممَ يسخر الناس من غيرهم عادةً؟
- برأيك هل تعد سخرية إنسان من أحدٍ ما، دليلًا على كمال الإنسان الساخر؟ ولماذا؟

خلاصة

إنّ المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا ينبغي أن تُمَسَّ بسوء، وهي من كرامة المجموع، والقرآن في هذه الآية يخاطب المؤمنين بذلك النداء المحبب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وينهاهم أن يسخر بعضهم من بعض، ويلفت نظرهم إلى أنه قد يكون من وقعت عليه السخرية خيرًا ممن سَخِر، والقرآن يبين بهذا أن المظاهر التي يراها الرجال في أنفسهم، وتراها النساء في أنفسهن، ليست القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى يزن الله تعالى بها العباد، فقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، وقد تسخر الجميلة من القبيحة، ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس السليم، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه القيم، يقول النبي ﷺ مؤكِّدًا هذا المعنى: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم برقم ٢٥٦٤).

ثم لا يكتفي القرآن بهذا، بل يستجيش عاطفة الأُخُوَّة الإيمانية، ويذكِّر المؤمنين بأنهم نفس واحدة، فمن يعيب أخاه فكأنما عاب نفسه: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ واللمز: العيب، ومن السخرية واللمز: التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، فمن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه أو يصفه بلقب يكرهه.

نشاط

ورد في السنة النبوية أن النبي ﷺ غيّر أسماء عدد من الصحابةِ إلى أسماءٍ أخرى، ابحث عنها واستنتج سبب تغييره لها.

وتكمل سورة الحُجُرات تأسيس العلاقة الصحيحة بين الناس، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحُجُرات ١٢].

ناقش

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- إذا كان بعض الظن إثم فماذا يترتب على المسلم بخصوصه؟
- بماذا شبَّه الله سبحانه وتعالى الغيبة؟

إن هذه الآية تمثل في المجتمع الإسلامي الفاضل سياجًا حول حُرُمات الأشخاص وكراماتهم، فهي تأمرهم باجتناب كثير من الظن لأنّ بعض الظن إثم، مما يعني بالضرورة اجتناب الظن السيئ أصلًا!

ثم شبَّهت الغيبة بمثال تتأذى منه النفوس السليمة والطباع السوية، بل تتأذى منه أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية؛ شبهتها بأخ يأكل لحم أخيه ميتًا، وبينت أن هذا المشهد يثير الاشمئزاز في فطرتهم فهو مكروه عندهم، وهذا يقتضي أن يكرهوا الغيبة ويشمئزوا منها كما يكرهوا ذلك المشهد.

نشاط

ورد حديث في السنة النبوية، يبيّن صفاتٍ معينة إذا اتصف بها إنسان ما، فإنه يوصف بالنفاق، ابحث عنه، واذكر هذه الخصال، وبيِّن أثرها على العلاقات الاجتماعية.

وقد وضع حديث النبي ﷺ قاعدة عامة تضبط قضية الحقوق والواجبات في تعامل المسلم مع أخيه المسلم، حيث قال: «لا يؤْمِنُ أحَدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفْسِه» (رواه البخاري برقم ١٣).

البُعد الأخروي للعلاقة بين المسلم وأخيه المسلم

في البُعد الأُخروي للعلاقة بين المسلم وأخيه المسلم، ما تسعد به النفوس وتطرب له القلوب، فاستمع إلى نبينا محمد ﷺ حين يبشرنا: «أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلم، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له؛ ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ» (أخرجه الطبراني في الأوسط برقم ٦٠٢٦ وصححه الألباني).

إلا أنّ أجمل البشارات وأسعدها بشارةٌ تختص برتبةٍ خاصة من العلاقات، رتبة المحبة في الله، حيث تخلو المحبة عن انتظار أي منفعة أو مصلحة دنيوية، فتبقى ثابتة راسخة، ثبات الإيمان الذي وجد المؤمن حلاوته في قلبه، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يُلقَى في النار» (رواه البخاري برقم ١٦).

فتظهر منافع هذه المحبة في الله في أكثر الأيام هولًا وشدةً، يقول النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ يقولُ يومَ القيامَةِ: أيْنَ المُتحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي» (رواه مسلم برقم ٢٥٦٦).

علاقة المسلم مع جيرانه

قلت لصديقي:

أتذكُر ذلك الجار الذي كان صديقًا عزيزًا عليك، حيث أحببته لما وجدت من أخلاقه الحسنة وتعامله الطيب معكم، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في إسلامك؟

إنّ هذا الجار قد تمثّل بمعاني الإسلام حقيقة، وفعل ما يقتضيه عليه حق الجوار.

فقد عني الإسلام عناية كبيرة بالعلاقات بين الجيران، لأنّ المصالح والمضار، والمنافع والمفاسد بينهما مشتركة إلى حدٍّ كبير، ولأنّ الإنسان قد يرى جاره أكثر مما يرى إخوته أو أقرباءه، ولعلّ أبرز ما يدلّ على تلك العناية، ما أخبرنا به ﷺ: «ما زالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بالجارِ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ» (رواه البخاري برقم٦٠١٤)، أي أنّه ظنّ أن الوحي الإلهي سيجعل الجيران يرث بعضهم بعضًا، من كثرة ما اهتم بهم وأوصى بحسن معاملتهم.

وقد جعل النبي ﷺ إيذاء الجار من أسباب نقص الإيمان، والعذاب في النار قبل دخول الجنة، فقال: "واللّه لا يؤمن، واللّه لا يؤمن، واللّه لا يؤمن"، قالوا: وما ذاك يا رسول اللّه؟ قال: "الجار لا يأمن جاره بوائقه"، قالوا: يا رسول اللّه، وما بوائقه؟ قال: "شره". (رواه الإمام أحمد ٢٧١٦٢ وهو صحيح).

وقال أيضًا: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» (رواه مسلم برقم ٩٥).

نشاط

ابحث عن آيات وأحاديث تتحدث عن حقوق الجار على جاره واكتبها وشاركها زملاءك.

ويُظهر الحديث التالي أهمية الاعتناء بعلاقة الجوار، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق»، فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئا تكرهه.

(رواه أبو داود برقم ٥١٥٣ وصححه الألباني).

ناقش

- ماذا تفهم من هذا الحديث؟
- لماذا أمر النبي ﷺ الرجل بالصبر على أذى جاره، ولم يأذن له برد الأذى بالمثل؟
- كيف عالج النبي ﷺ مشكلة الرجل؟ وهل كان فيما فعله إيذاء مباشر للجار؟

ارجع إلى كتاب «**الانتماء للإسلام - واجبات وحقوق**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن الحقوق المادية والمعنوية لانتمائك للإسلام.

خلاصة

للجار على جاره حق وحرمة في الإسلام، ومن تمام حفظ الجوار الصبر على أذى الجار، واحتساب هذا الصبر عند الله سبحانه، لذلك لم يأمر النبي صلى الله عليه سلم بردِّ الأذى بمثله، بل حضَّ الرجل المشتكي على الصبر، فلما نفد صبر الرجل دله على ما يدفع به الأذى عن نفسه بطريقة غير مباشرة، لا تحمل أذية منه لجاره، بأن يلقي متاعه في الطريق لتعرية ظلم جاره له أمام الناس، فما لبث أن رجع الجار إلى رشده وكف عن إيذاء جاره.

نشاط إثرائي

اكتب بحثًا تذكر فيه حقوق الجوار في الإسلام، وقارنه بالواقع في مجتمعك الحالي واستخلص النتيجة.

البُعد الأُخروي لعلاقة المسلم مع جيرانه

قلت لصديقي: سأسبقك بالجواب عن سؤالك المعتاد عن البعد الأخروي في العلاقة مع الجيران فأقول لك: إن البُعد الأخروي في هذه العلاقة جليٌّ واضح أيضًا، فقد قُرن الإحسان إلى الجار بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وجعل دلالة على صدق هذا الإيمان، قال ﷺ: «مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ» (رواه مسلم برقم ٤٦).

وحسنُ التعامل مع الجار لا يخصُّ الجار المسلم فقط، بل يتعداه إلى غير المسلم، فقد روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنه ذُبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه» (رواه الترمذي برقم ١٩٤٣ وحسنه).

قال صديقي: قصة هذا الصحابي الجليل مع جاره اليهودي تدفعنا للحديث عن حقوق الأفراد غير المسلمين من جيرانٍ وصداقاتٍ، ممن نلتقي بهم ونصادفهم في حياتنا اليومية، خصوصًا أنني في مجتمع غير مسلم.

علاقة المسلم مع أصدقائه وجيرانه غير المسلمين

قلت: لا بدّ أن نحدد بدايةً أننا نقصد بغير المسلمين هنا من لم يحاربوا المسلمين ولم يؤذوهم ويعلنوا عداءهم.

إنَّ ما سبق من آداب للتعامل مع المجتمع والجيران المسلمين تنطبق على غير المسلمين ومجتمعاتهم، والعلاقة تسير وفق ضابط أساسي، هو أنّ علاقاتنا معهم لا تكون على حساب أيّ تشريع من تشريعات ديننا الحنيف، كمجالستهم -مثلًا- في مجالس تدار فيها كؤوس الخمر، أو التعامل معهم بالربا أو ما يعينهم عليه، أو حضور حفلاتهم الشركية وأعيادهم الدينية، فكل هذا حرامٌ.

فالمسلم في كل زمان وفي كل مكان مطالب بالتزام أحكام دينه، لا يجوز له التفريط فيها، ولا التهاون في شأنها، حتى في أمور الدنيا ومصالح الحياة. ففي العلاقات مع الخلق جميعًا، ومع من سبق ذكرهم من أصحاب العلاقات الخاصة كالوالدين، والأقارب والجيران والأصدقاء، لا يجوز له بحال من الأحوال أن يسايرهم فيما يمس عقيدته، أو يخالف ما وجب عليه التزامه من الأحكام الشرعية؛ فهو يزورهم إن زارهم، ويصلهم ويعينهم إن احتاجوا إلى عونه، ولكنه يظل محافظًا على سمته الإيماني وتعاليم دينه، فلا يأكل معهم الطعام المحرم من الخنزير ونحوه، ولا يشرب الشراب المحرم، ولا يجلس معهم حين شربهم للمحرم، ولا يشاركهم حفلات الرقص والمجون، ولا يترك أداء الصلاة مراعاة لهم، ونحو ذلك مما يميز المسلم عن غيره.

ويشهد لما قررناه قول الله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

إنّ هذه الآية تضع أصلًا لسلوك مبنيّ على الإحسان، هذه الآية -من ناحية السلوك الإنساني- لا تفرق بين المسلم وغيره، فتشمل القرابة واليتامى والمساكين والجيران سواءً كانوا من القرابة أو من الأجانب، والأصحاب سواءً كانت لهم صحبة دائمة أو عارضة، وأبناء السبيل أي المنقطعين في أسفارهم، وحتى العبيد الذين لم يعد لهم وجود في زماننا.

ومثلها قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة:٨].

نشاط

ماذا تفهم من هذه الآية؟

ما الشروط التي حددها الله في تعاملنا مع غير المسلمين؟

ما معنى البِرِّ، وما معنى القِسط؟

ما مناسبة ذكر القِسط وتذييل الآية بأن الله يحب المقسطين؟

الإسلام دين عدل وسلام، ويريد أن يُظِلَّ العالم كلَّه بظل الإيمان والعدل والسلام، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت شريعة الله إخوة متعارفين متحابين.

ولكن هناك عائق يحول دون تحقيق ذلك، وهو عدوان أعدائه عليه وعلى أهله، فهنا يحضُّ الإسلام أتباعه على ردِّ العدوان وعلى إزالة كل ما يحول بين الناس ومعرفة دين الحق، فأما إذا سالم هؤلاء الأعداء المسلمين، فالإسلام لا يرغب في الخصومة، ولا يسعى إليها، ودائمًا ما يستبقي أسباب التآلف في النفوس باستقامة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارًا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأنَّ الخير في أن ينضووا تحت لوائه.

وقد رخّص الله للمسلمين بالإحسان والتعامل بكل خير مع من لم يُظهروا لهم العداوة، ولم يقاتلوهم في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم، ورفع عنهم الحرج في أن يَبَرُّوهم، وأمرهم أن يتحرَّوا العدل في معاملتهم، فلا يبخسوهم من حقوقهم شيئًا، وهنا تظهر مناسبة ختم الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي العادلين، حثًّا للمسلمين على ألا يحملهم اختلاف ديانة خصمهم على ظلمه وتبرير هذا الظلم لأنفسهم.

خلاصة

ويشهد أيضًا لضرورة حسن التعامل مع الجيران غير المسلمين فعل النبي ﷺ، فقد ورد في السُنّة النبوية الشريفة أنه «كان غلامٌ يهوديٌّ يخدُمُ النبيَّ ﷺ، فمَرِضَ، فأتاه النبيُّ ﷺ يعودُه، فقعَدَ عند رأسِه، فقال له: أَسْلِمْ. فنظَرَ إلى أبيه وهو عِندَه، فقال له: أطِعْ أبا القاسِمِ، فأسْلَمَ، فخَرَجَ النبيُّ ﷺ وهو يقول: الحمْدُ للَّه الذي أنقَذَه مِنَ النَّارِ» (رواه البخاري برقم ١٣٥٦).

نناقش

- ما هو دين الصبي الذي زاره النبي ﷺ؟
- ما الحالة التي كان الصبي عليها حين زاره النبي ﷺ؟
- ما القيمة التي أظهرها الحديث في زيارتنا وعيادتنا لمرضى غير المسلمين؟
- هل تستطيع أن تؤسس قاعدة عامة للتعامل مع غير المسلمين من هذا الحديث؟

الخلاصة

يجوز عيادة المرضى من غير المسلمين من الأقرباء والجيران، وذلك من باب صلة الرحم أو حق الجوار، وهذا نوع من البر الذي رخصت به آية سورة الممتحنة، وينبغي للمسلم أن يستغل مثل هذه الزيارة في تأليف قلوب غير المسلمين، وترغيبهم فيه ودعوتهم إليه.

التقويم

١ أجب بـ (صح) أو (خطأ) وصحِّح العبارة الخطأ:

١. ( ) الإسلام يحثُّ الإنسان على التجسس في حال شكِّه في أمرٍ ما.

٢. ( ) يجوز مشاركة غير المسلمين أعيادهم الدينية وجلساتهم وهم يشربون الخمر بشرط عدم شربها معهم.

٣. ( ) تبادل المودة والمحبة بين المسلم وغير المسلم جائزة.

٤. ( ) للجار مكانة هامة جدًّا في الإسلام.

٢ اختر الإجابة الصحيحة:

١. **من آداب زيارة المريض:**

أ. زيارته صباحًا ومساءً

ب. البقاء عنده طوال اليوم

ج. البكاء أمامه

د. تبشيره بالشفاء وحسن العاقبة

٣ عدِّد:

١. ثلاثة من الحقوق الواجبة للمسلم على أخيه المسلم.

.....

.....

.....

.....

٢. ثلاثة من الحقوق الواجبة على المسلم لجيرانه غير المسلمين.

.....

.....

.....

.....

دور المسلم في مجتمعه غير المسلم

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يحافظ على علاقاته مع الناس بما يُستثمر للخير وبما يتوافق مع القرآن والسنة.
- يسعى لتحقيق الدور الرسالي للمسلم بين كل الناس، وغير المسلمين على وجه الخصوص.
- يحقق حياة آمنة مطمئنة في مجتمعه دون التنازل عن الثوابت.
- يعرف الأصل في إقامة المسلمين أين تكون.
- يسعى للتمكين للإسلام والمسلمين في مجتمعه.

تمهيد

بعد أكثر من يومين من الحوارات بيني وبين صديقي، اقتنع أنّ اعتزال المجتمع ليس مطلوبًا بذاته في الإسلام، مادام يستطيع الحفاظ على دينه وتطبيق تعاليمه، فالإسلام يحثُّ أتباعه على أن يحسنوا علاقاتهم الاجتماعية ويخالطوا الناس فـ «المؤمن مَأْلَفٌ، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف» (رواه الإمام أحمد برقم ٩١٩٨ وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط).

فلما وصل صديقي إلى هذه القناعة بادرني بسؤاله: ما دوري في مجتمعي غير المسلم؟ وكيف أعتزل ما يخالف ديني وأنا أرى مظاهر الشرك أو المعصية بادية في أماكن كثيرة في المجتمع؟ ومتى يتوجب عليَّ الهجرة من هذه البلاد؟

الخلطة والعزلة والهجرة

قلت لصديقي: كم هو جميل أن يسأل المسلم حديث الإسلام عن أمور دينه وعن دوره في مجتمعه. إن حرصك على القيام بشعائر دينك والقيام بدورك والشعور بمسؤوليتك علامة خير.

وللجواب على سؤالك لابد من وضع ضوابط وقواعد؛ لتعلم متى تخالط ومتى تعتزل ومتى تهاجر، فدعنا نستنبط بعض تلك الضوابط والقواعد من الآيات التالية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

ناقش

- ما المعنى العام الذي تتحدث عنه الآيات؟
- من هم الظالمون لأنفسهم بحسب فهمك للآية؟
- هل تعرف فيمن نزلت الآية؟

إن الأصل في إقامة المسلمين أن تكون في ديار الإسلام، لأن المسلم لا بدَّ له من بلدٍ يأمن فيه على نفسه ودينه، ويقيم فيه شعائره العبادية، ويربي أبناءه التربية الإيمانية الإسلامية، ولهذا فإن من كان يقيم في بلد لا يتمكن فيه من القيام بما سبق، ولا يأمن فيه على دينه أو دين من يعول، فيجب عليه أن يهاجر إلى ديار الإسلام إن كان مستطيعًا.

وهذا ما دلت عليه الآيات السابقة، حيث عدَّت من ظلم الإنسان لنفسه قبوله العيش في مجتمع لا يستطيع أن يقيم فيه دينه بحرية، أو لا يأمن على نفسه من الفتنة عن دينه فيه، مع قدرته على الانتقال إلى أرض أخرى يجد فيها حريته وأمنه وأسباب عيشه، وتمكنه من إقامة دينه، ولم تستثنِ من الوعيد الذي ينتظر هؤلاء الظالمين لأنفسهم، إلا العاجزين عن الهجرة، الذين لا قدرة لهم ولا حيلة.

وهذه الآيات وإن كانت واردة على سبب خاص، في المسلمين الذين بقَوا في مكة ولم يهاجروا مع النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، إلا أن حكمها عامٌّ في حق كل مسلم يقيم في مجتمع غير مسلم، ولا يأمن على دينه فيه، فهذه الهجرة باقية إلى قيام الساعة.

نشاط إثرائي

ارجع إلى كتب السيرة ولخص منها قصة الهجرة إلى الحبشة:

ما أسبابها؟ ما الذي قاله النبي ﷺ للناس حتى يهاجروا إليها؟ ما الميزة في الحبشة في ذلك الوقت؟ متى عاد المهاجرون؟ وإلى أين عادوا؟

قارن ما كتبته بما ورد معك في الكتاب هنا واستخلص النتيجة.

قلت لصديقي: وأما من أمن على نفسه ودينه، واستطاع أن يُنَشِّئَ أولاده على الإسلام وتعاليمه ومعتقداته في بلاده التي فيها مخالفات للإسلام، فلا تنطبق عليه الآية، إذ لا يكاد يوجد بلد يخلو من المخالفات الشرعية، والواجب على المسلم أن يصبر ويمارس دوره في الدعوة بالتي هي أحسن.

اقرأ قوله ﷺ: "المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (رواه الترمذي برقم ٢٥٠٧ وصححه الألباني).

نناقش

- **ماذا تفهم من هذا الحديث؟**
- **متى يكون المسلم الذي يخالط الناس خيرًا ممن لا يخالطهم؟**
- **في ضوء هذا الحديث ما التصور الحقيقي لاعتزال الناس؟**

لا شك أن هناك أمورًا عديدة في المجتمعات غير المسلمة تكون مقبولة عند أهلها، ولكنها تخالف ما يعتقده المسلم أو ما يلتزمه من أمور دينه، كما في بعض المطعومات، والمشروبات، والعلاقات الشخصية، والمعاملات، والأعراف، والتقاليد، مما قد ينشأ عنه حرج شديد وعسر بالنسبة للمسلم المقيم في تلك البلاد؛ لأنه إمَّا أن يساير كل ما هو موجود فيضيِّع بذلك دينه وقِيَمه، وإمَّا أن ينعزل ويتحاشى معاملة غيره فيقع في الحرج والضيق، وهذا سيؤدي إلى ضعف تأثير المسلمين، وتقلُّص علاقاتهم، ونفور الناس منهم، وينتج عن ذلك ضياع حقوقهم، وتسوِّر كثير من طوائف المجتمع الأخرى عليهم؛ لذلك كان التعامل مع هذا الواقع يتطلب حكمة وصبرًا.

والمتأمل في الحديث السابق يجده يحث المسلم على مخالطة الناس، فإن أصابه أذًى من مخالطتهم صبر ولم يرد السوء بالسوء، بل يسعى لمنفعة من حوله؛ لينال محبة الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس» (رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٦٠٢٦ وحسنه الألباني)، لكنه في الوقت نفسه يعتزل مظاهر الكفر والفسوق بجسده وشعوره وفكره، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع قومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم:٤٨].

فالأمر يتطلب وجود منهج علمي شرعي متوازن، يحفظ للمسلم هويته التي أكرمه الله بها، ويوفر له وجودًا قويًّا مؤثرًا مع إخوانه المسلمين؛ ليصبحوا أعضاء حقيقيين في المجتمعات التي يعيشون فيها، ويمكنوا لدينهم وينشروا دعوتهم؛ فالمسلم المعتز بانتمائه للإسلام صاحب رسالة تتضمن الخير للبشر؛ ومهمته أن يبلغها لجميع الناس مِن حوله، ولا يتأتى هذا منه إلا بمخالطتهم، وهذه المخالطة تستلزم الانتماء لجماعة المسلمين في بلد إقامته والتعاون معهم، حتى لا تفتر همته أو ينتكس لا قدر الله، وحتى تتضافر جهود المسلمين لتعزيز وجود الإسلام والمسلمين في مجتمعهم.

من المعلوم للجميع أنّ هناك محاولات في بعض البلدان غير المسلمة للقيام بأعمال استفزازيّة في مناطق استقرار المسلمين وسكناهم، وأحيانًا أمام المساجد والمراكز الإسلاميّة، فضلًا عن تصرّفات وشعارات ودعوات تحمل استخفافًا بالمسلمين وإهانة لهم ولدينهم.

ما التصرف الأنسب من وجهة نظرك الشخصية في الوقت الراهن؟ هل تتفق وجهة نظرك مع حديث الترمذي السابق والآيات التالية: [الأعراف: ١٩٩]، [القصص: ٥٥]، [الروم: ٦٠]؟ **ولماذا؟ ناقش ذلك مع أصدقائك.**

إثراء

الدور الرسالي للمسلم في المجتمع

قال صديقي: صرت حريصًا على العلاقات الاجتماعية المنضبطة كما تعلمت في حواراتنا، وأعتبرها من الأعمال الدعوية التي أؤدي بها حق الله عليَّ، كما أنني أريد الإسهام في تعزيز وجود الإسلام في بلدي والتمكين للمسلمين فيه.

قلت: صدقت وأحسنت القرار، فالمشاركة الإيجابية في الحياة الاجتماعية وَفق الضوابط التي تناولناها، وإن كانت تعدُّ وفاء بالحقوق التي أوجبها الله تعالى للقرابات والجيران والمجتمع من جهة، فإنها من جهة أخرى عمل رسالي يسهم في الدعوة إلى الله بالحسنى، ويعرّف الناس بدين الإسلام وما فيه من الأحكام التي فيها صلاحهم، وما فيه من الآداب والمكارم التي تأسر مشاعر العقلاء وتستحوذ على قلوبهم وعقولهم، وهو شهادة على الناس بالتعريف بهذا الدين، وسعي في إزالة التصور السيئ القاتم عن الإسلام والمسلمين، الذي تحرص بعض الجهات المعادية على نشره وترويجه.

إنَّ التاريخ الإسلامي حافل بذكريات عطرة كان سببها مراعاة الخُلُق القويم والعدل مع الخَلْق، فهذا جيش المسلمين بقيادة قتيبة ابن مسلم الباهلي يفتح سمرقند -وكانت مدينة عظيمة- بشيء يخالف عادة المسلمين وأخلاقهم في الحروب، فشكا أهل البلد إلى خليفة المسلمين حينها وهو عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن الجيش غدر بهم وظلمهم، فكتب عمر إلى واليه سليمان بن أبي السرح يقول له: إن أهل سمرقند قد

شَكَوا إليَّ ظلم قتيبة لهم، فإذا أتاك كتابي فأَجلِس لهم القاضي فلينظر في أمرهم؛ فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا، فأجلس لهم سليمان القاضي واسمه "جميع بن حاضر الكندي"، وأحضر المدعي والمدعى عليه وسمع من الجميع ثم أصدر حكمًا يستطيع القضاء الإسلامي أن يفخر به على كل قضاء في الدنيا، حيث حكم ببطلان الفتح؛ لأنه خالف قواعد الإسلام في الحروب، وقضى بخروج الجيش من البلد، وإعطائه مهلة للاستعداد، ثم إعلان الحرب من جديد، ونُفِّذ هذا الحكم العجيب، فلما شرع الجيش بالانسحاب، قال أهل البلد: بل نرضى بما كان، ولا نجدد حربًا، وكان ذلك سببًا في دخولهم الإسلام مختارين.

[أصل القصة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري].

وهذه بلاد كثيرة في إفريقية وشرق آسيا دخل أهلها طواعية في هذا الدين، بسبب معاملة تجار المسلمين، والتزامهم بإسلامهم.

واقرأ معي الآية التالية ففيها ما يدل على دور المسلم الرسالي:

يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ناقش

- من هي الأمّة المقصودة في الآية؟
- ما سبب استحقاق الأمة لهذه الخيرية؟
- هل تعرف السبب الأول الذي استحق به اليهود اللعن والطرد من رحمة الله كما جاء في القرآن؟

النتيجة

كل مسلم مكلف بحمل رسالة الأنبياء الذين أُرسِلوا لهداية البشرية، وقد ألزمه الإسلام مسؤولية الدعوة إليه، وطلب منه سلوك الطريق الذي سلكه الأنبياء في الدعوة، وهو الدور الرسالي لكل مسلم، ولذلك مدح الله تعالى هذه الأمة بأنها خير الأمم التي أخرجها للناس، وعلَّل ذلك بأنهم أكملوا أنفسهم بالإيمان به، والذي يستلزم طاعته والقيام بكل ما أمرهم به، ثم دعَوا غيرهم إلى الكمال؛ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله تعالى، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، يحبون النجاة لهم ولغيرهم، فتعدت المسؤولية من إصلاح الفرد المسلم لنفسه إلى إصلاح غيره، لأن صلاحه لا يكتمل إلا بصلاح غيره، قال الله تعالى في بيان سبب لعن بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]؛ وذلك لأن حفظ المجتمع من الانهيار مسؤولية الجميع، فالأولون قصروا بفعل المنكر، والآخرون قصروا بعدم نهيهم ونصحهم وإرشادهم.

نشاط إثرائي

ابحث في كتاب الله تعالى عن بعض الآيات التي تحدثت عن الدعوة إلى الله، وانشرها بين إخوانك المسلمين.

من مفاتيح الجواب: [يوسف: ١٠٨]، [النحل: ١٢٥]، [الحج: ٦٧]، [الأحزاب: ٤٦].

هل تجد في كتاب الله آيات أخرى تحدثت عن الدعوة إلى الله؟ اجمعها وصنفها بحسب اللفظة.

من مفاتيح الجواب: (البحث عن الآيات التي تتحدث عن: التبليغ والبلاغ، والذكرى والتذكير، والنصح والنصيحة).

إثراء

إن امتناع المسلم عن القيام بدوره في مجتمعه غير المسلم سيضعف شوكة المسلمين، وقد يؤدي لمزيد تضييق عليهم وضرر بهم، وخصوصًا إن كانوا من أهل تلك البلاد، وبحكم وجود الدول الحديثة بقوانينها وأنظمتها، فقد يصعب عليهم الانتقال لبلاد أخرى، فهنا يتوجب على المسلمين أن يكونوا أكثر وعيًا؛ للنهوض بدورهم المجتمعي عبر الأبواب التي يفتحونها؛ بتنظيمهم، وتعاونهم، وعبر الجمعيات التي يقيمونها، والمساجد التي يؤسسونها، والمشاركة مع غير المسلمين فيما يخدم الجميع، والمشاركة الواعية في أنشطة مجتمعاتهم حتى السياسية منها فيما لا يعارض دينهم، وهذا كله مقتضى العقل والإيمان وعليه الأدلة العامة.

اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ناقش

- ماذا تفهم من الآية؟ وما التوجيه الرباني فيها؟
- هل يصح أن أتعاون مع غير المسلم على البر والتقوى ومصلحة الإنسان؟

.....

.....

.....

.....

ارجع إلى كتاب «**فبهداهم اقتده**» من هذه السلسلة، وانظر كيف كان حرص النبي ﷺ على هداية الناس .

إن تعامل المسلمين مع مجتمعاتهم غير المسلمة ومع من فيها ينطلق من الموازنة بين المصالح والمفاسد، والعمل على جلب المصالح وتكثيرها ودرء المفاسد وتقليلها، وتحصيل أعظم الخيرين، ودفع أعظم الشرين، وهذا مبدأ شرعي مؤصَّل لا محيص عن القبول به.

ومما يدل على ذلك المبدأ: مشاركة الرسول عليه الصلاة والسلام مع أعمامه في "حِلف الفضول" الذي عقد في دار "عبد الله بن جُدعان" قبل ظهور الإسلام، وتعاقدوا فيه على نصرة المظلوم، وإعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وقد قال فيه الرسول ﷺ: «لقد حضرت في دار ابن جدعان حِلفًا ما أحب أن لي به حُمْر النَّعَم، ولو دعيت إليه في الإسلام لقبلت» (السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٣٦٧).

ألا يدل هذا الحديث على أن التعاون لما فيه مصلحة راجحة للمجتمع جائز حتى ولو كان مع الكفار؟

ناقش

هل توافق على الأفكار التالية ولماذا:

- **إن المشاركة الاجتماعية بل والسياسية بالاعتبارات الشرعية بغرض الإصلاح الاجتماعي، والمطالبة بحقوق المسلمين والتمكين لهم أمر مشروع.**
- **لسان الحال في تبليغ دعوة الإسلام قد يعدل لسان المقال وزيادة.**

قال صديقي: كنت أسمع بعض الناس يدعون للعزلة واجتناب الناس وما يفعلون، خصوصًا أننا في آخر الزمان كما يقولون، فما قولك أنت؟

قلت: لا قول بعد قول رسول الله ﷺ: «إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةٌ فإنِ استَطاعَ ألا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها» (رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٤٧٩ وصححه الألباني).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» (رواه مسلم برقم ٣٦٥٦).

ناقش

- **ماذا تفهم من هذين الحديثين؟**
- **الحديث الأول أصل في العمل وعدم اليأس، بيّن ذلك.**
- **في الحديث الثاني حض على الثبات وعدم التنازل عن الثوابت، بيّن ذلك.**

إن المسلم بإيمانه بربه دائم التفاؤل، إيجابي منتج فاعل في مجتمعه، لا يتوانى في عمل الخير، يخالط من حوله ويعاملهم وَفق تعاليم دينه، ويسعى لصلاحهم ومنفعتهم، ومهما أصابه ابتلاء بسبب مخالطتهم، أو شعر بالغربة بينهم، فإنه لا يحيد عن مبادئه ولا يتنازل عن ثوابته لأنه يعلم أنه على الحق.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وعن عمار بن ياسر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «...اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين». (رواه أحمد برقم ١٨٣٢٥ بسند صحيح).

ناقش

- **ماذا تفهم من النصوص السابقة؟**
- **ما هي مهمة النبي ﷺ وأتباعه؟**
- **ما الدور الرسالي للمسلم تجاه غير المسلمين؟**

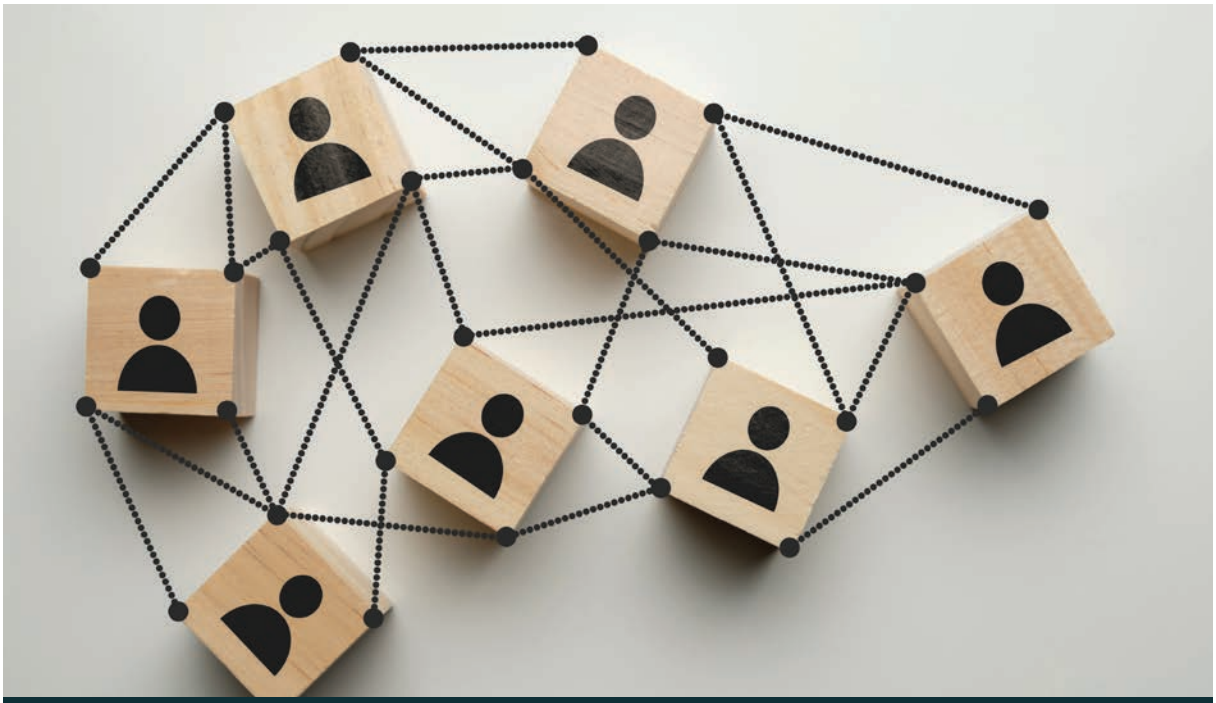

إن الدور الرسالي للمسلم تجاه غير المسلمين يلخص في أمور:

الأول: دعوة غير المسلمين إلى دين الله تعالى وهدايتهم إلى الإسلام، وهذه المسؤولية ليست منوطة بفئة معينة من المسلمين ، بل هي واجبة على كل فرد مسلم قادر على الدعوة، فالمسلم كما وصفه النبي ﷺ في دعائه: مهدي إلى الدين الحق فيتعبد ربه به، وهادٍ يهدي غيره إلى طريق السعادة الذي سار فيه ؛ فيخرجه الله به من الظلمات إلى النور.

والثاني: المحافظة على صورة الإسلام المشرقة، فالمسلم هو النافذة التي يرى منها الآخرون الإسلام، فينبغي أن يكون زجاج هذه النافذة نظيفًا ليعكس الصورة الناصعة المشرقة للإسلام، من خلال تطبيق تعاليمه وأخلاقياته عمليًا على أرض الواقع، فهو أوقع في النفوس وأوصل إلى القلب والعقل معًا.

والثالث: العمل للتمكين للمسلمين في مجتمعاتهم غير الإسلامية وفق الضوابط الشرعية والطرق الحكيمة.

الخلاصة

قال صديقي: إن قدَر المسلم في بلاد غير مسلمة أن يمثِّل دينه خير تمثيل، ولا أخفيك سرًا، فهذا ما كنت أرقبه في جاري وصديقي الذي تأثرت به فبحثت عن الإسلام بسببه.

قلت: إنّنا نمثّل الإسلام في أقوالنا وأفعالنا وسلوكنا وأخلاقنا.

فالطالب في جامعته، ينظر إليه زملاؤه غير المسلمين فيرون جِدّه واجتهاده وحسن خلقه فيقولون: إن دينًا يتبعه مثل هذا الإنسان لدين محترم.

وكذلك الجار مع جيرانه من غير المسلمين، الذين يشاهدون فيه الصدق والأمانة وحسن الأخلاق والنزاهة والنظافة والنظام، والأمن والأمانة على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم، وتراه يتفقد جيرانه، يزور مريضهم، ويدخل السرور عليهم وعلى أطفالهم، فهل سيقولون حينها إلّا: حُق لدين هذا الجار أن يُتَّبع، أو أن يُحتَرم على أقل تقدير؟!

والموظف غير المسلم ينظر إلى زميله المسلم كيف يتصرّف، فإمّا أن يرى أمانة وصدقًا وعدلًا وقسطًا وإحسانًا، فيقول هذا الموظف: حُقّ لدين هؤلاء أهله أن يُتَّبع، وإمّا أن يرى خلاف ذلك فيحمل هذه التصرّفات الخاطئة على الدين الذي ينتمي إليه زميله.

إنّ المسلمين -في بلادهم الإسلامية وغير الإسلامية- يتحمّلون أمانة عظيمة ومسؤولية كبيرة، أن يبلِّغوا رسالة الله إلى الناس من حولهم على الوجه الذي أرشدهم إليه الله في كتابه والنبي صلّى الله عليه وسلّم في سنته، فهل يشعرون بعظم هذه الأمانة وبدورهم في نقل هذه الرسالة؟

حكم الدعوة إلى الله في البلاد غير الإسلامية

قال صديقي: هل أفهم من كلامك أن الدعوة إلى الله تعالى فرض عين على كل مسلم؟

قلت: المسألة فيها تفصيل كما قال العلماء؛ فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي من العلماء وطلبة العلم والدعاة فإن الإثم يسقط عن بقية المسلمين، ولكنها قد تكون في حق أحد المسلمين فرض عين؛ مثل أن يكون قادرًا على الدعوة ولا يوجد في المكان الذي هو فيه من يدعو إلى الله غيره.

وعلى هذا فإنَّ حكم الدعوة إلى الله بالنسبة للمراكز الإسلاميّة والمساجد والمؤسسات الدعويّة في البلاد غير الإسلامية هو الفرض العينيّ على هذه المؤسّسات، أي يجب على هذه المؤسسات أن يكون لها مناشط دعويّة تبلّغ من خلالها الرسالة الدعوية في الدوائر المحيطة بها.

أما أفراد المسلمين في البلاد غير الإسلامية فقيامهم بالدعوة إلى الله مستحبٌّ، وقد يصير فرض عين كما سبق، كلٌّ بحسب موقعه وعمله وحركته في المجتمع، وكلّ ذلك بشرط القدرة والاستطاعة القانونية والاجتماعيّة.

فرض العين: هو ما يجب على كل مسلم القيام به ويأثم بتركه، كالصلوات الخمس، فلا تسقط عن أي مسلم مكلف.

فرض الكفاية: هو الواجب الذي لو قام به بعض المسلمين على الوجه المطلوب سقط الإثم عن الباقين، كالصلاة على الميت، فإذا لم يقم بفرض الكفاية أحد وقع جميع المسلمين بالإثم.

المستحب: ما يطلب فعله من غير إلزام، بحيث يثاب فاعله ولا يأثم تاركه.

نشاط

لا يشكّ أحد من العقلاء ممن يتابع شؤون الإسلام والمسلمين في العالم، أنّ هناك حملة إعلامية شرسة على الإسلام والمسلمين، شديدة في أساليبها، متنوّعة في طرقها، لم تترك جانبًا من جوانب ديننا الحنيف إلا وطعنت أو شككت فيه، ولم يسلم المسلمون كذلك من هذه الحملة التي أظهرتهم كوحوش غاب لا قِيَم لهم ولا أخلاق.

صمم مع إخوانك المسلمين حملة في منطقتك للتعريف بالإسلام وقيمه ومحاسنه ورد الشبهات حوله.

التقويم

١ علِّل ما يلي:

١. العزلة تكون أحيانًا مُضعِفة لمكانة المسلم.

.....

.....

.....

٢. أُمَّة الإسلام خير الأمم.

.....

.....

.....

٣. العلاقات الاجتماعية المنضبطة تعتبر من الأعمال الدعوية.

.....

.....

.....

٤. الأصل في إقامة المسلمين أن تكون في ديار الإسلام.

.....

.....

.....

٢ أجب بـ (صح) أو (خطأ) وصحِّح الإجابة الخطأ:

١. ( ) الجماعة خير من العزلة.

.....

.....

.....

٢. ( ) المسلم الذي لا يخالط الناس خير ممن يخالطهم.

.....

.....

.....

٣. ( ) أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

.....

.....

.....

٤. ( ) المسلم لا يتنازل عن ثوابته لأنه يعلم أن هذا الحق سينتصر وإن تخلى عنه الكثيرون أو لم يؤمنوا به.

.....

.....

.....

٣ اذكر المعنى الحقيقي لاعتزال الناس، واشرح معنى الاعتزال الشعوري والفكري.

٤ ما الدور الرسالي للمسلم تجاه أفراد مجتمعه مسلمين وغير مسلمين.

٥ متى يجب على المسلم أن يهاجر من البلد الذي هو فيه؟

معينات الثبات في المجتمع غير المسلم

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يهتم بصلته وعلاقته مع الله تعالى.
- يتخذ أصدقاء من المسلمين.
- يرتبط بالمساجد والمراكز الإسلامية التي تساعده على تحقيق الاتزان.

تمهيد

"**إنّ** معرفة الإنسان لدوره في مجتمع ما، يضفي على حياته معنًى، ويُكسِبَ وجوده أهمية كبيرة"، هكَذا أسرّ إلي صديقي في نهاية كلامنا عن دور المسلم في مجتمعه، إلا أنّه لم يُخفِ خوفه وخشيته من مزالق وآثار مخالطة غير المسلمين في مجالات الحياة عمومًا، أو في سبيل الدعوة إلى الله خصوصًا، وما تنطوي عليه تلك المخالطة من خوفٍ على النفس من التأثر بمن حولها؛ من الابتعاد عن تعاليمِ الله وتشريعاته، والركون إلى عادات مجتمعه، وفتور همته تجاه الدين، فقال لي:

ما هي المعينات التي تعين الإنسان على أن يثبت على الدين، ويقوِّي علاقته بالله تعالى وصدق انتمائه إلى دينه؟

المُعين الأول: الارتباط باللّه والإكثار من ذكره سبحانه

قلت لصديقي:

أيُّ أمرٍ أهنأ للنفس من السير في الحياة في ظل معية الله تعالى؟

وأيُّ قلقٍ يبقى في قلب الإنسان وهو في ظلّ حمايةً الله تعالى وكنفه؟

وكيف لآلام ما يلاقيه الإنسان في هذه الحياة من مصاعب ومشقات ألا تبرأ وهو لا يرى في الصبر على تلك المشقات سوى سبيلٍ إلى القرب منه سبحانه وتعالى ونيل رضاه؟

اقرأ ما يلي بتأمل وتدبر:

قال الله جلَّ في علاه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذِراعًا، وإن تقرب إلي ذِراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَةً». (رواه البخاري برقم ٧٤٠٥).

يُقصد بالذِّكر ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية أو اللسانية التي يُرددها العبد في أوراده اليومية، ويتحرك بها لسانه؛ تسبيحًا وتحميدًا وتهليلًا وتكبيرًا ونحو ذلك، ووظيفة الذكر تجديد معنى الإيمان باللّه تعالى في النفس، وترسيخه وترقيته، فهو بذلك المعنى ليس مجرد تحريك لسان، بل هو: حضورٌ للقلب بين يديّ اللّه تعالى عابدًا متبتلًا، وهو كذلك: استحضار لمعاني تلك الأذكار -التكبير والتسبيح وغيرها- وتتبُّع مشاهدها في الكون تفكرًا وتدبرًا، وتبيُّن آثارها في النفس، ثم الالتجاء إلى اللّه القدير الذي بيده ملكوت كل شيء، ندعوه بالثبات، ونطلب منه الهداية إلى صراط اللّه المستقيم.

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه سلم: «يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك...» (أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٧١٣٥) وصححه الألباني).

ناقش

- كيف يكون ذكر اللّه تعالى؟
- بماذا نذكر اللّه تعالى؟
- هل الذِّكر يكون بتحريك اللسان فقط؟
- ماهي ثمرة الذِّكر في النفس؟

يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

نشاط

اقرأ تفسير هذه الآية الكريمة في بعض التفاسير المعتمدة، وسجل خلاصة ما قرأت عن طمأنينة القلب بالذكر، وانشرها بين أصدقائك.

المعين الثاني: الارتباط بالصحبة الصالحة

اقرأ معي ما يلي بتدبر وتأمل:

قال رسول الله ﷺ: «المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالل» (رواه الترمذي، برقم ٢٣٧٨ وحسنه).

وقال ﷺ: «مَثَلُ الجليس الصالح والسَّوء، كحامل المسك ونافخ الكِيْر، فحامل المسك: إما أن يُحْذِيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة» (رواه البخاري برقم ٥٥٣٤).

[الكير: أداة من جلد كان يستخدمها الحداد قديمًا للنفخ في النار. يحذيك: يعطيك شيئًا من المسك]

ناقش

- ماذا تفهم من هذين الحديثين؟
- ما أثر الصحبة على أخلاق الإنسان وسلوكه؟

الصحبة الصالحة نعمة غزيرة الآثار، ولها دور كبير في تكوين شخصية الإنسان واكتساب الأخلاق والعادات؛ ولهذا اهتمّ الإسلام بالصُحبة الصالحة، وحذر من صحبة السوء، فالمرء يتأثر بصاحبه وخليله من جوانب عدة، فالصاحب المؤمن يعاشِر بالمعروف، ويَدُلُّ على صلاح الدين والدنيا، وصاحب السوء يعاشر بالمادحة، ويدل على ما تشتهيه النفس، وهو ما نبه عليه النبي ﷺ في الحديث السابق.

المعين الثالث: الارتباط بالمساجد والمراكز الإسلامية

اقرأ وتأمل الحديث التالي:

قال رسول الله ﷺ: «عليكُم بالجماعة وإيَّاكم والفُرقةَ؛ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ، وَهوَ منَ الاثنَين أبعدُ، مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فليلزَمِ الجماعةَ» (رواه الترمذي برقم ٢١٦٥ وحسنه).

ارجع إلى كتاب «**الصبر واليقين**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن تربية النفس والقلب والعقل على الصبر لله .

ناقش

- ماذا تفهم من الحديث؟
- لماذا حثَّ النبي ﷺ في هذا الحديث وغيره على لزوم الجماعة وعدم الابتعاد عنها؟ ولماذا نهى عن الفُرقة؟
- ما أثر الالتزام مع الجماعة المؤمنة على إيمان المسلم؟ ولماذا برأيك؟

إن المساجد أحب بقاع الأرض إلى الله، ولها في الإسلام أهمية كبيرة، ولا أدل على ذلك من كون أول عمل بدأ به النبي ﷺ عند هجرته للمدينة بناء المسجد؛ فبنى مسجد قُباء، ثم المسجد النبوي، وفي هذا إشارة إلى أن المسجد هو حجر الزاوية في بناء وبقاء الأمة المسلمة.

وقد مدح الله عز وجل المؤمنين المواظبين على الحضور إلى المساجد؛ للصلاة والتعلم وذكر الله، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦- ٣٧].

والمساجد في بلاد الأقليات المسلمة -وما يلحق بها من مراكز إسلامية- لها أهمية أكبر من المساجد في بلاد المسلمين، إذ هي محور علاقة المسلم في هذه البلاد بالإسلام، والمكان الوحيد -غالبًا- الذي يعيش فيه المسلم ضمن مجتمع إسلامي خالص، والملاذ الذي يلجأ إليه المسلم للحفاظ على دينه، وعبادة ربه، وتحصيل العلم الشرعي، وحل المشاكل الاجتماعية، وإبرام عقود الزواج، والصلاة على موتى المسلمين، والاحتفال بالأعياد، وغير ذلك.

فهذه المساجد والمراكز تخدم الدين، وتسعى لنشره وحماية عقيدة المسلمين وسلوكهم من الخطر الداهم من قبل المجتمع غير الإسلامي الموجودين فيه، فهي تمثل دعمًا للتماسك الديني والاجتماعي، وفرصة للمسلمين للتواصل فيما بينهم، وتثبيتًا للمسلم على دينه، ومعينًا في إيجاد البدائل لأولاده عبر الأنشطة والصحبة ودروس نهاية الأسبوع ، وغير ذلك.

ناقش

- لماذا أمر النبي ﷺ ببناء المسجد؟
- ما أهمية المسجد زمن النبي ﷺ؟
- أين كان يعطي رسول الله ﷺ دروسه ومواعظه للصحابة؟
- أين كان يقضي النبي ﷺ بين الخصوم؟
- أين كان يستقبل رسول الله ﷺ الوفود؟
- ما دلالة قيام تلك الأفعال وغيرها في مكانٍ واحد؟

خلاصة

إنّ من أول الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة أنه بنى مسجدًا لله تعالى لتقام فيه الجمعة والجماعة، وليتلقى فيه المسلمون علوم دينهم وأوامر ربهم وحقيقة إسلامهم، وكان المسجد مركزًا للتعلم والتعليم والتربية، ومحكمة للقضاء والصلح، ومكانًا لاستقبال الوفود، ومأوًى للفقراء والغرباء، ومقصدًا للمظلومين والمنكوبين، ومجلسًا للرأي والشورى.

فالمسجد في الإسلام يمثّل جزءًا من رسالته، ومادامت رسالة الإسلام صالحةً لكل زمان ومكان، ولكل الأجناس، فإنّ المسجد يبقى المكان الذي يُمثّل حيوية الإسلام وصلاحه للمجتمع.

إن دور المسجد الاجتماعي لا يقل أبدًا عن دوره العبادي، بل إنّ العبادات التي تقام فيه لها أثرها الاجتماعي، فهي -مع كونها تربط المسلم بربه- تربطه بالمجتمع المسلم ارتباطًا واعيًا منظمًا مبنيًّا على عاطفة صادقة، وانتماء لقضية واحدة، ولهذا كانت المساجد والمراكز الإسلامية من أكبر المعينات على الثبات.

إثراء

ذكر النبي ﷺ في بيان مكانة المسجد أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ» (رواه البخاري برقم ٦٤٠).

قال أحد العلماء في شرح ذلك المعنى: مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ: أي محب للمساجد حبًّا شديدًا، ومن شدة حبه تعلَّق قلبه بها وإن كان جسده خارجًا عنها، فالمقصود طول الملازمة بالقلب حتى يعود إليها ويتردد إلى صلاة الجماعة والقراءة والذكر فيها.

ويشهد لذلك رواية: "ورجل كان قلبه معلَّقًا بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه" (رواه الترمذي ٢٣٩١ وصححه الألباني).

فمن كانت هذه صفته فهذا دليل على قوة صلته بربه عز وجل؛ لأن المساجد بنيت لتؤدى فيها الفريضة جماعة، والصلاة صلة بين العبد وربه، فإذا أحبها العبد وتعلق قلبه بها، كانت دليلاً على أنه يحب الصلة التي بينه وبين الله تعالى.

نشاط إثرائي

قال النبي ﷺ: "نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلَّغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم" [رواه الترمذي: ٢٦٥٨ وهو حديث صحيح].

اقرأ في شرح هذا الحديث، وفصّل القول في جملة (فإن الدعوة تحيط من ورائهم)، وبين أثرها في ثبات المسلم على دينه.

قال صديقي: ماذا لو وجد المسلم الجديد نفسه في مكان لا يوجد فيه مسجد أو مركز إسلامي؟

قلت: فليسعَ مع إخوانه لينشؤوا واحدًا، بغض النظر عن المساحة والشكل، فالمهم هنا تحقيق التلاقي والتناصح والتثبيت على الحق، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

أما إن كان المسلم وحده في منطقته، فلابد له أن يراقب قلبه وإيمانه، وأن يوجد البديل الافتراضي؛ كالتجمع الدوري عبر وسائل التواصل الاجتماعي مع إخوانه المسلمين، فإن تحققت الغاية وإلا فعليه الانتقال إلى مكان يجد فيه الإيمان وبيوت الرحمن ليجاورها؛ فهي مصدر الإشعاع الروحي والفكري، ومصدر العطاء العلمي والعملي، والمحضن التربوي والخلقي، والملتقى الأخوي والاجتماعي، ومَعْقِدَ الرجاء في صناعة الأجيال، ومبعث السكينة والسعادة.

نشاط إثرائي

ابحث في تفسير سورة العصر واللطائف الإيمانية فيها وشاركها إخوانك المسلمين.

التقويم

١ علِّل ما يلي:

١. للمسجد أهمية كبيرة في الإسلام.

.....

.....

.....

.....

.....

٢. أهمية الصحبة الصالحة.

.....

.....

.....

.....

.....

٣. ذكر الله تعالى من معينات الثبات.

.....

.....

.....

.....

.....

٢ أجب بـ (صح) أو (خطأ) وصحِّح الإجابة الخطأ:

١. ( ) يكفي في ذكر الله تعالى تحريك اللسان فقط.

٢. ( ) معنى "القلب المعلق بالمساجد" أن صاحبه دائم الجلوس في المسجد.

٣ عدِّد:

١. ثلاثًا من صفات الصديق الصالح.

٢. ثلاثًا من وظائف المسجد في عهد رسول الله ﷺ.

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب نرجو أن نكون قد وضَّحنا أنواع العلاقات الاجتماعية في حياة المسلم، وكيفية إدارته لها، وسلطنا الضوء على مهمته الدعوية التي تبدأ أول ما تبدأ من سلوكه وتعامله مع غيره، قبل أن يتكلم أو يقول أيَّ شيء عن دعوته تلك.

قد يُنظر للعلاقات الاجتماعية على أنّها حقوق وواجبات بين أطرافها فحسب، إلا أنّ لتلك العلاقات في الإسلام أبعادها الدعوية الكبيرة، والتي يمكن أن تقدّم خدمة جليلة للإسلام وأهله -بل للإنسانية كلها- إذا قامت على أسس صحيحة ومورست على وجه شرعي سليم.

فالمسلم ينبغي أن ينطلق في تعامله مع كل من حوله من حقيقة جليّة واضحة، وهي أنّه فرد من خير أمة أخرجت للناس، وما نالت أمته هذه الخيرية إلا لأنها حملت الحق لكل بني آدم، ودعتهم للقيام بالوظيفة التي من أجلها خلقهم الله؛ وهي عبادته وحده لا شريك له، لينالوا بذلك خيري الدنيا والآخرة.

ومن هنا فإننا نؤكد على أهمية المبادرات الفردية؛ لتوثيق أواصر الاجتماع والصلة على مستوى البيت المسلم الواحد، أو الحي الواحد، وكذلك لانتهاج نهج مستقيم في التعامل مع غير المسلمين، بطريقة تكون سبيلًا للدعوة إلى الله، عبر عكس صورة الإسلام الصحيح كما ينبغي، متمثلين في ذلك بعضًا من معاني قوله عز وجل: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨].

والحمد لله رب العالمين

مركز أصول
www.osoulcenter.com

المسلم مطالب بإنشاء علاقات إنسانية جيدة مع الآخرين، تحتوي على قيم الفضيلة والإنصاف والرحمة والمساعدة والدفع بالتي هي أحسن، وفي الوقت ذاته مطالب بالحفاظ على دينه ومبادئه ، في توازن حقيقي بين طرفي هذه العلاقة.

وقد يحار المسلم في تحقيق التوازن في إدارة علاقاته الاجتماعية وسط مجتمعه الذي يعيش فيه، ومن هنا جاءت صفحات هذا الكتاب لتشخيص هذه العلاقات وبيان حدودها، ولبيان المعايير والقواعد اللازمة لإدارتها على ما أراد الله سبحانه، وما علمنا خير الخلق وأحسنهم خَلْقًا وخُلُقًا، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليعلم المسلم كيف يحيا وسط مجتمعه -سواء كان مجتمعًا مسلمًا أو غير مسلم- هانئ العيش مطمئن البال.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

osoulcenter

www.osoulcenter.com

لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com